

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف-المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: /...../.....

رقم التسجيل: 941796/8 - 034086442

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: دراسات لغوية

بعنوان:

التناسب في القرآن الكريم

— نماذج مختارة —

إعداد الطالبتين:

مقدودة زموري / أمال شوكي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

د. بلقاسم جياب	الرتبة	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	رئيساً
د. سليمان بوراس	الرتبة	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مشرفاً ومقرراً
د. الربيع بوجلال	الرتبة	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	ممتحناً

السنة الجامعية 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى من أظلمت الدنيا برحيلهما

أبي وأمي رحمهما الله

إلى من يحاول دائما إثارة حياتي بعد غيابهما: نروجي وسندي بلقاسم

إلى فراشتي الصغيرتين: لجين وحنين فطيمة

إلى مرفيقتي في هذا الجهد: الرائعة مقدودة

إلى كل الأصدقاء والأحباب

أولهم أختي غنية بلخضر

إلى كل ذي فضل ومن له حق علي

أهدي هذا العمل

أمال

إهداء

إلى من ترفعوا عن دارنا ونأوا عن جوارنا وآثروا جوار الله

أبي .. أمي .. أختي ..

إلى نروحي وأولادي

وإخوتي وأخواتي

وابن أختي الغالي ياسين

إلى من شاركني هذا الجهد المتميزة

أمال

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد

وأسأل الله التوفيق

مقدودة

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا البحث،

ويسر لنا كل الطرق من أجل التحصيل العلمي طيلة مشورانا الدراسي

نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف والأب الروحي لهذا العمل

الدكتور سليمان بوراس

كما نتقدم بجزيل الشكر لجميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
**	إهداء
**	الشكر والعرفان
II-I	فهرس الموضوعات
أ-ب	مقدمة
05	تمهيد
32-10	الفصل الأول: التناسب نظريا
10	المبحث الأول: تعريف التناسب
14	المبحث الثاني: نشأة التناسب وأهم المؤلفات فيه
18	المبحث الثالث: المنكرون للتناسب والرد عليهم
20	المبحث الرابع: أهمية التناسب
22	المبحث الخامس: أنواع التناسب
64-34	الفصل الثاني: نماذج من التناسب الداخلي
34	المبحث الأول: التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها
39	المبحث الثاني: التناسب في الحروف المقطعة أول السورة وألفاظها
44	المبحث الثالث: تناسب الفواصل
48	المبحث الرابع: التناسب الصوتي والإيقاعي
54	المبحث الخامس: تناسب المشاكلة وتناسب المجاورة وتناسب الاتباع
54	-I تناسب المشاكلة
59	-II تناسب المجاورة
62	-III الاتباع

98-66	الفصل الثالث: نماذج من التناسب الخارجي
68	المبحث الأول: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها
75	المبحث الثاني: التناسب بين السور في المطلع
85	المبحث الثالث: التناسب بين السور في الخواتيم
91	المبحث الرابع: التناسب بين الآيات في السور المختلفة
95	المبحث الخامس: التناسب الصوتي بين السور
100	الخاتمة
102	قائمة المصادر والمراجع
107	ملخص الدراسة

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله معلم الإنسان ما لم يعلم، ومنزل القرآن الكتاب الأعظم، الخالد على مرّ الأزمان، المعجز في اللغة والبيان، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، أفصح الناس لساناً وأقواهم حجة وبياناً، وبعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله الذي أعجز العرب فصحاء اللسان وعظماء البيان، إذ تحادهم في نظمه وتأليفه ولو بمثل أقصر سوره، ومما لا شك فيه أن هذا الإعجاز نابع من الارتباط اللفظي والمعنوي بين آي وسور الذكر الحكيم في نسق متكامل مترابط.

فرغم كثرة واتساع توجهات الباحثين إلا أن القرآن كان ولا يزال المنهل الأكبر لكل من رام الاعتراف من فيض علم لا ينتهي ولا ينضب، إذ لطالما أثار إعجاز القرآن هوس الباحثين الراغبين في فك أسرار هذا الارتباط والتوافق بين ثناياه، فيما يدخل في نطاق ما يسمى التناسب، الذي يعد من ظواهر الإعجاز التي تبقى بحاجة إلى اجتهاد وتقصي مهما كثرت البحوث والدراسات فيه، لعظمة المجال المخصص له.

فلو نظرنا إلى مجالات البحث في التناسب لرأيناها متشعبة تشعب ميول الدراسين، كل ينظر إلى الترابط من وجهته الخاصة.

إذ تقودنا دراستنا اللغوية إلى اختيار التناسب المتعلق باللفظ والشكل دون المعنى وإن كان هذا الأخير يظهر بين حين وآخر لارتباطه الوثيق بالتركيب واللفظ.

ويأخذ بحثنا أهميته من مفهوم التناسب ذاته، فأظهار الترابط والتوافق في القرآن رسالة نبيلة قد يلج الإنسان بابها فيضطر إلى البحث عما يبرهن فيه ترابط القرآن لإقناع السائل عن دينه.

وهنا يكمن سبب اختيارنا لهذا الموضوع، وهو ما يحمله القرآن من سمات لفظية شكلية مترابطة ترابطاً يستفز القارئ له للبحث عن أوجه هذا التآلف وإثبات كماله وإعجازه لمن لم

يذوق حلاوة الدين الإسلامي ولم يطرب بأنغام تراتيل كلام الله المنسجم في إيقاعه المتكامل في نظمه وتأليفه.

كذلك لأن الله تعالى حثَّ عباده على تدبر كتابه، وفهم معانيه، والغوص في أعماقه للكشف على آياته المكنونة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾⁽²⁾.

وقد اتبعنا المنهج الوصفي الذي تقتضيه طبيعة الموضوع.

وفي صدد بحثنا عن الدراسات السابقة وجدنا أن التناسب درس قديم ارتبط ظهوره بظهور مجال تطبيقه، وإن تحفظ الدارسون وقتها في الخوض في غمار تفاصيله خوفاً من تعدي حدود الدين، بتأويل ما يعتقد البعض أنه محذور، إذ احتشمت الجهود الأولى في إشارات أو فصول في ثنايا التفاسير قبل أن تستقل بكتب خاصة بالعلم أهمها:

كتاب "البرهان في ترتيب سور القرآن" للإمام الغرناطي، و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، و"مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع" لصاحبهما الإمام السيوطي.

ومن المعاصرين من أمثال: سيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن" و"التصوير الفني للقرآن الكريم"، ومصطفى الرفاعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، والدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم" وغيرهم كثير.

وقد واجهنا في الدراسة صعوبة قلة البحوث في دراسة التناسب بين السور في الجانب اللفظي على عكس التناسب داخل السورة الواحدة الذي توفرت وكثرت الدراسات فيه إضافة إلى صعوبة فصل المعنى عن دراستنا لارتباطه الوثيق باللفظ.

¹ سورة النساء الآية 81.

² سورة محمد الآية 25.

إذ قدمنا أخيراً هذا البحث ضمن خطة اخترنا أن تكون بمقدمة وتمهيد وثلاث فصول وخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلنا إليها وذلك على النحو التالي:

تكلت فيها الباحثتان عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف الدراسة والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطة.

أولاً-تمهيد: يحوي ارتباط الإعجاز القرآني بالموضوع المدروس.

ثانياً-الفصل الأول: خصص للجانب النظري للتناسب وفيه خمسة مباحث وهي:

1. تعريف التناسب اللغوي والاصطلاحي.

2. نشأة التناسب وأهم المؤلفات فيه.

3. المنكرون للتناسب والرد عليهم.

4. أهمية التناسب.

5. أنواع التناسب.

ثالثاً-الفصل الثاني: وهو أول جزء للجانب التطبيقي، خصص للتناسب الداخلي وبعض

أنواعه ضمن خمسة مباحث وهي:

- التناسب بين فاتحة السورة وخاتمها.

- التناسب بين الحروف المقطعة أول السورة وألفاظها.

- تناسب الفواصل.

- التناسب الصوتي والإيقاعي.

- تناسب المشاكلة وتناسب الاتباع وتناسب المجاورة.

رابعاً-الفصل الثالث: وهو ثاني جزء للجانب التطبيقي خصص للتناسب الخارجي ضمن

خمسة مباحث أيضاً وهي:

- التناسب بين أول السورة وخاتمة ما قبلها.

- التناسب بين السور في المطلع.
- التناسب بين السور في الخواتيم.
- التناسب بين الآيات في السور المختلفة.
- التناسب الصوتي بين السور.

خامسا-خاتمة: تحوي أهم النتائج المتوصل إليها.

وختاماً فإننا نسأل الله عزّ وجلّ أن يغفر لنا تقصيرنا وزلاتنا فيما قصرنا وزللنا، فالخطأ والنقصان ملازمان للإنسان، ولا بد من نسبة الفضل إلى أهل الفضل، وتقديم الشكر وهو أقل الواجب، فله الحمد إذ يسّر لنا بلطف تدبيره مشاق البحث ومصاعبه حتى اكتمل، ثم الشكر للأب الروحي للعمل ولنا، أستاذنا الذي شرفنا بإشرافه على بحثنا، الفاضل الكريم بنصائحه وتوجيهاته الدكتور سليمان بوراس على عونه ومساعدته.

نسأل الله التوفيق والسداد.

تمهيد:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز بألفاظه ومعانيه، وقد نزله على أمة هي من أرقى الأمم بياناً ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (3)، فقد قادهم إلى الإيمان بدين جاء بالسنتهم.

فاللغة العربية أعزها الله بالقرآن، إذ لها من الخصائص ما يميزها عن غيرها، حيث نجد كل اللغات تتطور من أجل أن تتغير إلا اللغة العربية، فهي تتطور من أجل ألا تتغير لأنها لغة القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (4).

والقرآن الكريم جمع العرب على لغة واحدة تجمع محاسن الفطرة اللغوية، ولو كانت فصاحته كالشعر أو القصص لما كان له هذا الشأن؛ فالشاعر تجده قويا في المدح أما إذا كان في الهجاء أو الرثاء تجد في شعره تفاوتاً، وهذا التفاوت هو انعكاس النفسية البشرية، ولا يمكن أن نجد هذا التفاوت في القرآن الكريم، ولو قارنا أي نص مع القرآن الكريم لوجدنا فيه تكلفاً لا نجده في قراءتنا للقرآن، فكل لفظة من ألفاظه وضعت في مكانها دون مشقة أو كلفة لأن المتكلم هو الحق جلّ وعلا.

ولأن القرآن الكريم أنزل على أمة هي من أرقى الأمم بياناً فقد تحداهم الله أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (5).

ثم تحداهم عز وجل فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَنْطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (6)، ثم تحداهم مرة أخرى فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَنْطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (7).

³ سورة الشعراء الآية 195.

⁴ سورة يوسف الآية 02.

⁵ سورة البقرة الآية 22.

⁶ سورة هود الآية 13.

⁷ سورة يونس الآية 38.

فقد تحدّاهم الله بأن يأتيوا بمثله، ثم بأن يأتيوا بعشر سور من مثله، ثم تحدّاهم بأن يأتيوا بسورة من مثله، ثم أعلن عجزهم فقال: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (8)، فالتحدي كان من الأعلى إلى الأدنى كما قال "مصطفى صادق الرافعي"، غير أن من العلماء من عارضه، لكن ما يهم أن التحدي بكثير القرآن أو قليله سواء، فالعجز حاصل بالقليل أو بالكثير.

فكانت ألفاظه تهز العربي من الداخل، ففي الوقت الذي ينتظر لفظة معينة يفاجئه وبصدمه بلفظة تقدم أفقاً متسعاً من المعاني لا يمكن أن تقدمه لفظة غيرها كما قال مصطفى "صادق الرافعي": «وهل رأوا إلا كلاماً تُضِيءُ ألفاظه كالمصابيح»، فمن عجيب إعجاز القرآن هو المزج بين اللفظ والمعنى.

ومهما تكلم العلماء عن الإعجاز في القرآن وقسموه إلى إعجاز رياضي وفلكي وعلمي، إلا أن الإعجاز اللغوي هو مراد الله من القرآن، إذ هو الذي أرهق العقول لما نزل، فاستحق أن يكون فعلاً كتاباً هداية.

أما عن ترتيب القرآن؛ فالمتمعن في كتاب الله والمتدبر لآياته، يجد كل آية قد وضعت في مكانها المناسب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (01) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (02)﴾ (9)، إذ لا يمكن أن نقول (الرحمان الرحيم الحمد لله رب العالمين).

فهل تساءلنا يوماً لم جاءت هذه الآية هي الأولى وهذه الآية هي الثانية؟

ولماذا جاءت هذه السورة بعد هذه السورة؟

هل ترتيب القرآن توقيفي أم اجتهادي؟

والإجابة التي استنتجناها من خلال اطلاعنا أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، والدليل على ذلك: قول البغوي في شرح السنة: الصحابة

⁸ سورة الإسراء الآية 88.

⁹ سورة الفاتحة الآية 01-02.

رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يعلمهم بما نزل عليه بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية: أن هذه الآية تكتب عقب كذا في سورة كذا، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه.

أما ترتيب السور في المصحف فللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

1- القول الأول: ترتيب السور توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، فالنبي صلى الله عليه وسلم حدد موضع السور، والدليل: «قال أبو بكر بن الأنباري في كتاب "الرد على من خالف مصحف عثمان" أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم فرقه على النبي صلى الله عليه وسلم في بضع وعشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية تنزل جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية، فانظام السور كانتظام الآيات والحروف، كلفه عن رسول الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين، فمن أحر سورة مقدّمة أو قدّم أخرى مؤخّرة، كمن أفسد نظم الآيات، وغير الحروف والكلمات»، نفس الرأي يراه الكرمانى في البرهان، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرض على جبريل عليه السلام كل سنة ما كان يجتمع عنده وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين.

2- القول الثاني: ترتيب القرآن اجتهادي، والصحابة رضوان الله تعالى عليهم وضعوه وانفقوا، والرسول صلى الله عليه وسلم أقرهم.

3- والقول الثالث: هناك من رأى أن بعض السور ترتيبها توقيفي والبعض الآخر اجتهادي.

غير أن الرأي الأرجح هو أن ترتيب السور توقيفي، لأن فتح المجال للاجتهاد، يفتح الباب لمن رأى أن يقدم أو يؤخر في السور كيف يشاء.

والتوقيف يحفظ للقرآن هيئته ويحفظه من التقديم والتأخير.

وهذا الترتيب لا يمنع أن يكون هناك توافق بين السور كما هو موجود داخل السورة الواحدة، وهذا الترابط وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، الذي خصص له علم يسمى "علم المناسبة"، أو كما يصطلح عليه المحدثون "علم التناسب".

الفصل الأول: التناسب نظرياً

❖ المبحث الأول: تعريف التناسب اللغوي والاصطلاحي.

❖ المبحث الثاني: نشأة التناسب وأهم المؤلفات فيه.

❖ المبحث الثالث: المتكرون للتناسب والرد عليهم.

❖ المبحث الرابع: أهمية التناسب.

❖ المبحث الخامس: أنواع التناسب.

المبحث الأول: تعريف التناسب:

1-التعريف اللغوي:

يقول ابن فارس (ت 395هـ): «النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سُمِّي لاتصاله وللاتصال به⁽¹⁾، والنسب: القرابة، وناسبه أي شاركه في نسبه، فلان نسبي أي له علاقة تجمع به، ويقال ليس بينهما أي مشاكلة، أي ليس بينهما علاقة أو اتصال»⁽²⁾، يقول الراغب الأصفهاني (ت 502هـ): «والنسب والنسبة اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان: نسب بالطول، كالأشتراك بين الآباء والأبناء، والنسب بالعرض كالنسبة بين بني الإخوة وبين الأعمام»⁽³⁾، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾⁽⁴⁾.

قال الإمام السيوطي (ت 911هـ): «المناسبة في اللغة هي المشاكلة والمقاربة»⁽⁵⁾، بمعنى المماثلة نقول هذا شكل هذا: أي مثله، والنسب الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض⁽⁶⁾.

قال بدر الدين الزركشي (ت 794هـ): «المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة»⁽⁷⁾.

(1) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ج 5. [د. ط]. 1399هـ-1979م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. [د. م]. ص 423.

(2) ابن منظور. لسان العرب. ج 6. [د. ط]. [د. ت]. دار المعارف. مصر. ص 4405.

(3) الراغب، الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ج 1. ط 1. 1412هـ. دار القلم. دمشق. ص 801.

(4) سورة الفرقان الآية 54.

(5) جلال الدين، السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج 2. [د. ط]. 1973. المكتبة الثقافية. بيروت. ص 108.

(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. ج 5. ص 424.

(7) بدر الدين، الزركشي. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل. ج 1. [د. ط]. [د. ت]. دار المعرفة. بيروت. ص 35.

2-التعريف الاصطلاحي:

وردت عدة تعريفات للتناسب القرآني عند العديد من العلماء والباحثين الأجلاء، نذكر منها ما قاله البقاعي⁽¹⁾ في كتابه "نظم الدرر": «هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود الآية...»⁽²⁾.

ويقول الشيخ عبد الحميد الفراهي⁽³⁾ -وقد أطلق على التناسب اسم النظام-: «ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة...» على هذا الأصل⁽⁴⁾ ترى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر، ولهذا فإن السورة مهما تعددت قضاياها في كلام واحد يتعلق أوله بآخره، ويتراعى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة⁽⁵⁾.

وعرفها السيوطي: «ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه»⁽⁶⁾.

(1) هو أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ، مفسر، محدث وأديب. ولد ببلبان قرية (روحا) سنة 809هـ/1406م، توفي بدمشق سنة 885هـ/1480م، له كتب عديدة منها: "مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور". ينظر: عادل، نويهض. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. تقديم: حسن خالد. المجلد 1. ط 1. 1403هـ/1983م. مؤسسة نويهض الثقافية. [د.م]. ص 17.

(2) برهان الدين، البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تصحيح وتعليق: محمد محمد عمران الأعظم الأنصاري العمري. ج 1. ط 1. 1404هـ/1984م. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة. ص 6.

(3) هو العلامة عبد الحميد بن عبد الكريم أبو أحمد حميد الدين الفراهي الهندي: ولد ب (فريها) سنة 1280هـ، وتوفي بمدينة (مثورا) في الهند سنة 1349هـ، لغوي وحافظ للقرآن، أثنى العربية الفارسية ونظم الشعر فيهما، من كتبه: "إمعان أقسام القرآن". ينظر: صبحي، اليازجي. الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي وسيد قطب. (دراسة مقارنة). أطروحة ماجستير. الجامعة الإسلامية. غزة. 2001م. ص 56. 79.

(4) عبد الحميد، الفراهي. دلائل النظام. المطبعة الحميدية. 1388هـ. نسخة رقمية مصورة. ص 75.

(5) ينظر: محمد عبد الله، دراز. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن. ط 1. 1417هـ/1997م. دار طيبة. السعودية. ص 147.

(6) السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن. ج 2. ص 103.

ويوافقه الدكتور محمد بازمول فيقول: «هو معرفة الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل الترتيب أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض»⁽¹⁾، ويقول الدكتور مصطفى مسلم: «هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السور بما قبلها وما بعدها»⁽²⁾، وعند القاضي أبي بكر بن العربي⁽³⁾، يقول في سراج المريدين: «هو ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متنسقة المعاني منتظمة المباني»⁽⁴⁾. وهذا ما ذهب إليه مناع قطان في كتابه "مباحث في علوم القرآن": «هي وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة»⁽⁵⁾.

وخلاصة القول في التعريف بالتناسب هو ما ذكره أحمد عبد الغفار في كتابه "حول القرآن" الذي يقول فيه: «هو توارد الكلام في سياق دلالاته من وراء تناسق النظم وتعانقه، سواء في نظم الكلمات القرآنية، أو ترابط الآيات، أو ترتيب السور»⁽⁶⁾. ومن خلال ما سبق نصل إلى أن التناسب يعني المقاربة أو المشاكلة أو الارتباط، ويكون ذلك بين الألفاظ من حيث البنية أو الدلالة، أو بين الألفاظ والسياقات التي ترد فيها من حيث الشكل أو المعنى، وتعبير آخر هي وضع الكلام موضعه الذي يليق به حتى يتم له الحسن والبلاغة⁽⁷⁾.

(1) محمد، بازمول. علم المناسبات في السور والآيات. ط 1. 1423هـ/2002م. المكتبة المكية. مكة المكرمة. ص 58.
(2) مصطفى، مسلم. مباحث في التفسير الموضوعي. ط 3. 1421هـ/2000م. دار القلم. دمشق. ص 58.
(3) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أحمد المعارفي الأندلسي الإشبيلي؛ أبو بكر العربي: قاضي، حافظ للحديث. من كبار فقهاء المالكية. بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين ويرع في الأدب، ولد في (إشبيلية) سنة 468هـ، وبها نشأ، رحل إلى مصر والشام وبغداد والحجاز لأخذ العلم توفي 543هـ، ودفن بفاس، من آثاره: "أحكام القرآن"، "الناسخ والمنسوخ"، "قانون التأويل"، "أنوار الفجر المنير". ينظر: عادل، نويهض. معجم المفسرين. ص 558. 559.
(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 36.
(5) مناع، قطان. مباحث في علوم القرآن. ط 35. 1419هـ/1998م. مؤسسة الرسالة. [د.م]. ص 96.
(6) أحمد، عبد الغفار. حول القرآن. [د.ط]. 2003. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. ص 99.
(7) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن (دراسة لغوية). ط 1. 1428هـ/2007م. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية. ص 36.

فهي لا تخرج من دلالات القرابة والمشكلة والمشابهة والتلاؤم والتوافق، وتجدر الإشارة إلى أن التناسب قد يكون في غير النص القرآني، فهو في الأدب والفن: «حسن العلاقة وانسجامها بين أجزاء العمل الأدبي أو الفني»⁽¹⁾.

ونجد للتناسب مصطلحا قائما بذاته في التحليل اللساني بلفظ ISO TOPIE ويتكون من جذرين يونانيين أحدهما ISOS ومعناها: يساوي أو مساوٍ، والآخر TOPOS ومعناها: المكان، أي المكان المتساوي أو تساوي المكان.

ويراد «كل ما استوى من المقومات الظاهرة المعنى والباطنة والمستجدة في التعبير أو الصياغة الواردة في نسج الكلام، مشابهة أو مماثلة، أو متقاربة على نحو ما، مورفولوجيا أو نحويا أو إيقاعيا أو تراكيبيا أو معنويا، عبر شبكة من الاستبدالات والتباينات بحكم علاقة سياقية تحدد موقع الدلالة»⁽²⁾.

ونجد هذا العلم قد ذكر عند مختلف الباحثين باصطلاحات مختلفة: علم المناسبة، علم المناسبات، نظام الآي، التلاؤم، الملاءمة، التكافؤ، الائتلاف ...، لكنه عُرف حديثا في الدرس اللساني باصطلاح التناسب.

(1) إميل، يعقوب وآخرون. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية عربي إنجليزي فرنسي. ط 1. 1987م. دار العلم للملايين. لبنان. ص 149.

(2) ينظر: عبد المالك، مرتاض. نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان). [د. ط.]. [د. ت.]. دار هومة. الجزائر. بوزريعة. ص 157.

المبحث الثاني: نشأة التناسب وأهم المؤلفات فيه:

رغم أهمية التناسب كعلم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتفسير كتاب الله عزّ وجلّ إلا أنه لم يحظ بالدراسة كغيره من العلوم، وذلك لدقته وصعوبته كما يقول أهل هذا الفن⁽¹⁾.

ولعل أول بداياته تمثلت بمعالجات متفرقة لبعض الآيات التي تكررت في قصص الأنبياء وتمت معالجتها تحت عنوان الآيات المتشابهات كما في "درّة التنزيل" للإسكافي، و"ملاك التأويل" للغرناطي، إلى أن انتشرت فكرة التناسب بين المعنيين بعلوم القرآن⁽²⁾.

قال أبو الحسن الشهرستاني⁽³⁾: «أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري»⁽⁴⁾، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية على جنب هذه الآية؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة بجنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة⁽⁵⁾.

وقد كانت بعض مباحث التناسب أو الإشارة إلى بعض مسأله تتدرج تحت مسمى أوجه ارتباط الآي وترتيبها في السور من القرآن والحكمة منها، أو أوجه ورودها على ما هي عليه⁽⁶⁾.

فالكلام عن المناسبات في البداية كان موجوداً بصورة متناثرة في ثنايا الحديث والتفسير

(1) ينظر: الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 36.

(2) علي، عبد العزيز سيور. مناسبات الآيات والسور (نشأة علم المناسبة: محلها ودلالاتها وأثرها على التفسير). العدد 25. ربيع الثاني 1424هـ. يونيو 2003م. كلية الدراسات الإسلامية والعربية. دبي. ص 35.

(3) لم نجد تعريفاً له ما عدا كونه منسوباً إلى (شهرستان) قرية شرقي بغداد ينسب إليها من العلماء. ينظر: هامش بدر الدين، الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 36.

(4) أبو بكر، عبد الله بن محمد زياد النيسابوري: الفقيه الشافعي الحافظ، رحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر، سكن بغداد وصار إماماً للشافعية بالعراق، توفي سنة 324هـ. ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ص 36.

(5) أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي)، [د. ط.]. 1992م. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. ص 34.

(6) علي، عبد العزيز سيور. مناسبات الآيات والسور. ص 35.

عموماً، ولكنه لما يأخذ بعد في تلك المرحلة هيئة جامعة واضحة⁽¹⁾.

إذ أشار إليه العديد من المفسرين، فهذا الزمخشري (ت 538هـ) يقول في تفسيره: «الحمد لله الذي أنزل القرآن كاملاً مؤلفاً منظماً، ونزله بحسب المصالح منجماً وجعله بالتحميم مفتوحاً وبالاستعاذة مختتماً»⁽²⁾.

وهذا أبو بكر العربي (ت 543هـ) يؤكد أن القرآن الكريم كالكلمة الواحدة ناتج من ارتباط أي القرآن بعضها ببعض⁽³⁾.

قال بدر الدين الزركشي⁽⁴⁾: «وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا العلم لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»⁽⁵⁾.

وتعددت الإشارات إلا أنها لم ترقَ لمرحلة التأليف إلا في أواخر القرن الثامن للهجرة حين ألف ابن الزبير الغرناطي⁽⁶⁾ كتابه "البرهان في ترتيب سور القرآن"⁽⁷⁾، إذ يعتبر أول مصنف خاص بالتناسب، حيث تعرض إلى مناسبات السور فيما بينها ويقول في مصنفه: «اقتصرت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على وجوه ترتيب السور، وإن لم أر في هذا الضرب الخاص شيئاً لمن تقدم»⁽⁸⁾.

(1) علي، عبد العزيز سيور. علم المناسبات في السور. ص 23.

(2) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل. ج 1. ط 1. [د. ت]. مكتبة العبيكان. الرياض. ص 95.

(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج 1. ص 79.

(4) هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: مصري، علّم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، له مؤلفات كثيرة، توفي بمصر سنة 794هـ. ينظر: أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن الكريم. ص 35.

(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 36.

(6) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي: من أعيان المذهب المالكي، انتهت إليه الرئاسة في الأندلس في الصناعة العربية، راسخ القدم في القراءات توفي 708هـ. ينظر: أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن الكريم. ص 38.

(7) أحمد، أبو زيد. المرجع نفسه. ص 34.

(8) أبو جعفر، بن الزبير. البرهان في ترتيب سور القرآن. تحقيق: محمد شعباني. [د. ط.]. 1410هـ/1990م. وزارة الشؤون الإسلامية. المغرب. ص 181.

وألّف بعده برهان الدين البقاعي كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، ثم ألّف جلال الدين السيوطي⁽¹⁾ ثلاثة كتب في هذا الموضوع، فقال معرفاً بالكتابين الأولين: «وكتابي الذي صنفته في "أسرار التنزيل"⁽²⁾ كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سمّيته "تناسق الدرر في تناسب السور"⁽³⁾»، وأما الثالث فجعله في مناسبة فواتح السور وخواتيمها وسمّاه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"⁽⁴⁾.

ونستطيع ذكر أهم المؤلفات التي تناولت التناسب مستقلاً أو في مضمون موضوعها في
القدم:

- تفسير محمد بن علي بن إسماعيل الإمام بكر بن الشاشي، الفقيه الشافعي المعروف بـ: "القفال الكبير"، (ت 365)⁽⁵⁾.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت 421هـ).
- مفاتيح الغيب للعلامة فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، فقد أكثر من ذكر المناسبات فيه.
- مفتاح الباب المقفل في تفسير كتاب الله عز وجلّ، وكتاب العروة تكملة لكتاب مفتاح الباب المقفل كتاب للعلامة الحرابي علي بن أحمد التجيبي (ت 638هـ).

(1) هو عبد الرحمان بن أبي بكر الخصري السيوطي جلال الدين: إمام حافظ، مؤرخ، مفسر، محدث وأديب، ولد سنة 849هـ، بالقاهرة، نشأ يتيماً لكن هذا لم يثته عن العلم والسفر لأجله، له نحو 600 مصنف، منها "الكتاب الكبير" و"الرسالة الصغيرة" و"التحبير لعلم التفسير"، توفي سنة 911هـ/1505م. ينظر: عادل، نويهض. معجم المفسرين. ص 264.

(2) سمي كتاب أسرار التنزيل بتسمية أخرى: قطف الأزهار في كشف الأسرار. ينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن. ج 2، ص 105.

(3) ينظر: السيوطي. المرجع نفسه. ص 108.

(4) السيوطي. المرجع نفسه. ص 111.

(5) جلال الدين، السيوطي. طبقات المفسرين. تحقيق: علي محمد عمر. ط 1. 1431هـ/2010م. دار النور. الكويت. ص 103.

- كتاب للتفسير للمريسي، وهو شرف الدين أبو الفضل الشافعي (ت 655هـ)، وتفسير في عشر مجلدات في ارتباط الآيات بعضها ببعض وبين وجوهه⁽¹⁾.
- تفسير ابن النقيب، العلامة جمال الدين محمد بن سليمان الباخي (ت 698هـ).
- كتاب جواهر البيان في تناسب سور القرآن، صنفه الشيخ أبو الفضل عبد الله الصديق الغماري.

وقد لخص هذا الأخير مبحثه أو كلامه عن التناسب في قصيدة نظمها:

علم التناسب للسور	علم جليل وخطر
قد قلل فيه الكاتبون	كما قد عز المستطر
وابن الزبير في برهانه	قد كان أول من سطر
إذ جاء فيه مجليا	يتلوه بحر قد زخر
أعف السيوطي الذي	كتب التتاسق للدرر
وكتب مثل كتابهم	بحثا يؤيده النظر
أعملت فيه قريحتي	وتخيرت أنسب الفكر
وفتحت بعض المغلقات	من أي الكتاب ومن السور
وآتيت من عين المسا	ئل بالبدائع والغرر
ألهمت من فيض الإلـ	له يفيض فضل مدّخر
حمد اللواهب فضله	وله التطول إذ ستر
وصلاته دوما على	خير البريئة من مضر ⁽²⁾

(1) علي، عبد العزيز سيور. مناسبات الآيات والسور. ص 26.

(2) أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسيني. جواهر البيان في تناسب سور القرآن. [د. ط.]. [د. ت.]. مطبعة محمد عاطف وسيد طه. القاهرة. ص 2.

المبحث الثالث: المنكرون للتناسب والرد عليهم:

بما أن التناسب علم مرتبط أشد الارتباط بالقرآن الكريم، الذي يعد من أقدس مجالات الدراسة، تحفظ الدارسون عند الولوج في عالمه خوفاً من الوقوع في المحذور، ورغم أن الصحابة-رضوان الله عليهم-والتابعون وأوائل علماء الدراسات القرآنية تناولوا بعض أوجه التناسب في القرآن الكريم، إما في نظرات مختصرة أو في أجوبة مقتضبة حول أوجه المناسبة بين بعض الآيات قبل أن تبدأ مرحلة التأليف له كعلم سمّوه "علم المناسبة"، إلا أن بعض العلماء وقفوا موقف شبه معارض من الذين أقروا بوجود المناسبات في كل القرآن، ومن بين هؤلاء: الإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام الشوكاني (ت 1250هـ).

يقول الشوكاني: «اعلم أن الكثير من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقفوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات، وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه»⁽¹⁾.

أما الإمام عز الدين بن عبد السلام فيرى أن المناسبة علم حسن، ولكن لا بد أن يكون الرابط أمر ممتد أوله بآخره، أما إذا اختلفت الأسباب في وقوعه فلا يشترط الارتباط، ومن بحث عن ذلك فهو متكلف بما لم يطالب به⁽²⁾.

ونقل عن أبي العلاء محمد بن غانم (ت 500هـ) أنه أنكر وجود «حسن التلخيص»⁽³⁾ من

(1) الشوكاني، فتح القدير. ج 1. [د. ط.]. دار الفكر. بيروت. ص 72.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن. ج 2. ص 108.

(3) حسن التلخيص هو أن ينتقل مام ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما. ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 48. تجد أمثلة كثيرة في هذا الباب.

القرآن، بعلّة ما فيه من التكلف وقال: «إنّ القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريق العرب من الانتقال إلى غير ملائم»⁽¹⁾.

وقد ردّ على إنكار هذا الأخير للتناسب ضياء الدين بن الأثير الجوزي (ت 637هـ) وقال: «وهذا القول فاسد، لأن حقيقة التخلّص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطفية تلائم بين الكلام الذي خرج منه، والكلام الذي خرج إليه»، ودلّ على ترابط القرآن وحسن التخلّص بآيات كثيرة⁽²⁾.

يقول الشيخ ولي الدين الملوي: «وقد وهم من قال: لا يطلب لآية الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفارقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل إلى بيت العزّة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء كونها مكتملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له...»⁽³⁾.

(1) أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن الكريم. ص 36.

(2) ضياء الدين، بن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. ج 3. [د. ط]. [د. ت]. دار النهضة. مصر. ص 128.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ص 37.

المبحث الرابع: أهمية التناسب:

اكتسب التناسب أهمية بالغة رغم بعض المنكرين له، وهذا لارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، المكوّن من ألفاظ مختارة دقيقة موحية، قد اتسقت في جملها واستقرت في مكانها، وكوّنت مع زميلاتها آيات تؤثر في نفس سامعها بقوة نسجها وجمال موسيقاها⁽¹⁾.

والسبيل لإدراك هذه العظمة في القرآن هو معرفة المناسبات التي ربطت تلك الجمل والآيات، عن طريق التناسب الذي اعتبره البعض من المفاهيم الضرورية لعلماء الأمة، فقيادتهم للناس تعتمد على فهم كتاب الله، وفهم كتاب الله يعتمد على فهم السياق، أضف إلى ذلك كون هذا الرباط يعين سمع الكلام ولا يدع أحداً يصرفه عن مجراه، وبذلك يبقى كلام الله بعيداً عن أهواء المبتدعين وزيف المحرفين، وبفضله تغرل الروايات ويكشف عن المدسوس فيها، ويكون المفسر لآيات الله أقرب إلى إصابة المعنى فهو على بينة من ربه⁽²⁾.

فالمناسبة إذاً تعمل على ربط الكلام بعضه ببعض من جهة الألفاظ أو المعاني، أو من جهتهما جميعاً، بحيث لا نستطيع أن نستبدل أجزاء أخرى من الكلام بأجزائه الموجودة فيه، أو تغيير وضعه الذي جاء عليه، وإن حدث ذلك تنافر الكلام شكلاً ومعنى⁽³⁾.

إن فعل المناسبة يمثل جزءاً عظيماً من مفهوم القرآن، وهو المعتمد في صحيح التأويل ورفع الشكوك والحيرة⁽⁴⁾، قال البقاعي مبيناً أهمية التناسب: «هو علم يعمل على زيادة ترسيخ الإيمان في القلب»، فهو يكشف أن للإعجاز طريقين:

الأول: نظم كل جملة على حيالها حسب التركيب.

الثاني: نظم كل جملة مع أختها بالنظر إلى الترتيب⁽⁵⁾.

(1) ينظر: أحمد بدوي. من بلاغة القرآن. ط 3. [د. ت]. مكتبة النهضة. مصر. ص 401.

(2) ينظر: محمد، عناية الله أسد سبحاني. إمعان النظر في نظام الآي والسور. ط 1. 1424هـ/2003م. دار عمار. عمان. ص 17.

(3) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 37.

(4) عناية الله سبحاني، إمعان النظر. ص 19.

(5) البقاعي، نظم الدرر. ج 1. ص 7.

ومن خلال ما ذكر من أهمية التناسب في كشف مدى ترابط القرآن، نستطيع استخلاص العديد من الفوائد التي تصب في فهم الكتاب والتيقن من إعجازه وأبرزها ما يلي:

- للمناسبة دور كبير في فهم أسباب النزول.
 - المناسبة بمثابة المفتاح الذي نلج به إلى كنوز القرآن وحكمه التي تغيب غالباً لعدم فهم الروابط، قال الإمام الزركشي: «واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول»⁽¹⁾.
 - إدراك أسباب تكرار الآيات.
 - علم يُدافع به عن كتاب الله من الطاعنين والمشككين.
- وربما أهم فائدة تعود على الدارس لهذا العلم هي أنها تقوده إلى اليقين التي تقربه عينه، وتقوى به عقيدته، وتعظم عنده الحجة، فتسمو به إلى ذروة الشوق والتلذذ بآيات الرحمان وهو يتلوها عارفا لمعانيها، متديراً لمقاصدها وأهدافها⁽²⁾.
- قال الإمام البقاعي: «بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وهذه تصلح لأن تكون إحدى فوائده»⁽³⁾.

فهو علم دقيق يكشف مدى ترابط القرآن، لينم على وحدة موضوعية وهدف رئيسي، وهو توجيه النفس البشرية إلى طاعة ربها، فكان النهج القرآني خير نهج يؤثر في النفس الإنسانية هذه، ويدفعها إلى العمل الصالح المثمر في أسلوب إلى التفكير الهادي⁽⁴⁾.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 35.

(2) ينظر: عناية الله سبحانه، إمعان النظر. ص 105. 106.

(3) البقاعي، نظم الدرر. ج 1. ص 11.

(4) أحمد، بدوي. من بلاغة القرآن. ص 401.

المبحث الخامس: أنواع التناسب:

يكاد يكون مفهوم التناسب متقاربا عند معظم الباحثين، لكن التطرق لأنواعه تشعب واختلف بينهم، فكلٌ يصنفها من زاوية دراسته للموضوع، وإن كان العديد منهم يركز على إبراز العلاقة بين الآيات والسور، ويجدر بنا هنا أن نذكر أهم الدراسات السابقة واللاحقة لأنواع التناسب وتصنيفاته.

إذ نجد أبا جعفر بن الزبير الغرناطي يدرس العلاقات بين السور فقط، ويركز على الروابط المعنوية⁽¹⁾، بينما البقاعي-الذي يعتبر مؤلفه من أعظم ما أُلّف في موضوع التناسب-لم يهتم بتصنيف الأنواع، لكن القارئ لكتابه يستنتج أنه اعتمد ضمناً على نوعين رئيسيين هما العلاقة بين السور والآيات فيما بينهما⁽²⁾.

ويعد السيوطي أول من حدّد أنواع التناسب في كتابه "تناسق الدرر في ترتيب الآيات والسور"، وقد حصرها في تسعة أنواع:

- بيان مناسبات ترتيب سور القرآن والحكمة من وضع كل سورة منها.
- بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها.
- بيان وجه ائتلاف فاتحة الكتاب بخاتمة التي قبلها.
- بيان المناسبة بين مطلع السورة للمقصد الذي سبقت له، وذلك براعة الاستهلال.
- مناسبة أوائل السور لأواخرها.
- مناسبة ترتيب آيات القرآن وائتلاف بعضها ببعض.
- بيان أساليبه في البلاغة، وتنويع خطاباته وسياقاته.
- بيان فواصل الآية ومناسباتها للآية التي ختمت بها.

(1) ينظر: الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن (في ملخصه).

(2) تصفح كتاب نظم الدرر يقود إلى طريقة مؤلفه في المنهج الذي اعتمده.

- بيان مناسبة أسماء السور لها⁽¹⁾.

ورغم ذكر السيوطي لهاته الأنواع، إلا أنه ركز فقط على علاقات السور ببعضها البعض بطريقة مجملة في "تناسق الدرر"، ثم تعرض لعلاقة المطالع بالمقاطع في كتابه "مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"⁽²⁾.

من خلال هاته الأمثلة نستنتج أن الأنواع لم تحدد من طرف السابقين في دراساتهم للتناسب، بل كانت مبنوثة في البحوث والتفاسير وغيرها.

أما المتأخرين فقد تطورت الأنواع على أيديهم إلى حد يصعب الإلمام بها ونكتفي بالأمثلة الآتية لتوضيح ذلك:

• **أنواع التناسب عند سيد قطب:** يعد الشهيد سيد قطب⁽³⁾ من القلائل الذين تدبروا القرآن وعاشوا في ظلاله، هائمين في آياته، ومن ثم خرجوا بأنواع رائعة للعلاقات الرابطة بين آيات القرآن الكريم وهي:

- 1- التناسب في تأليف العبارات بتخير الألفاظ.
- 2- الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق واحد خاص.
- 3- التعقيبات المتفقة مع السياق، والمقصود به الفاصلة.
- 4- التسلسل المعنوي بين الأغراض.
- 5- التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص والخطوات النفسية التي تصاحبها⁽⁴⁾.

(1) جلال الدين، السيوطي. أسرار ترتيب القرآن. تحقيق: عبد القادر عطا ومرزوق علي إبراهيم. [د. ط.]. [د. ت.]. دار الفضيلة. [د. م.]. ص 66.

(2) ينظر: في منهج مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي.

(3) سيد قطب شاعر وكاتب: ولد بمصر سنة 1906م، نشأ نشأة دينية عمل مدرسا للغة العربية في وزارة المعارف واستقال منها عام 1952م. انخرط في حركة الإخوان وسجن وأعدم سنة 1966م، أصدر 26 كتاب إضافة إلى العديد من المقالات، ينظر: عادل بن محمد أبي العلاء. مصابيح الدرر في تناسب الآيات والسور. مجلة الجامعة الإسلامية. العدد 129. ص 80. 81.

(4) سيد، قطب. التصوير الفني في القرآن الكريم. ط 9. 1980م. دار المعارف. مصر. ص 74. 75.

6- التصوير الفني، ويقول سيد قطب في هذا النوع: «... فهو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن»، فالقرآن يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة في المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية محسوسة مرئية(1).

ونلاحظ أن السيد قطب وضع أنواعا تصب في إبراز القيمة الجمالية في القرآن الكريم الذي يرتقي بالإحساس إلى درجة تجسيد الصورة وتحريكها بمشاهد ناطقة حية.

• أنواع التناسب عند محمد بازمول: يقسمها إلى قسمين رئيسيين وذلك تبعا للتعريف الذي خرج به عن التعريف التقليدي-تعريف البقاعي وتابعه كل من جاء بعده-فقد ربط علم التناسب بعلم الأصول من خلال ضبط شروط هذا العلم فقال: «هو معرفة مجموع الأصول الكلية، والمسائل المتعلقة بالمعنى الذي يربط سور القرآن العظيم وآياته»، ثم شرح هذا التعريف ليستخلص نوعين أو قسمين رئيسيين هما: المناسبات الداخلية والمناسبات الخارجية.

فأما القسم الأول فيضم الأنواع الآتية:

الأول: مناسبات ترتيب آيات السورة الواحدة.

الثاني: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقنت له وذلك براعة الاستهلال.

الثالث: مناسبة ختام السورة لمطلعها.

الرابع: مناسبة الفواصل للآيات التي ختمت بها(2).

أما القسم الثاني-المناسبات الخارجية-فيضم الأنواع الآتية:

الأول: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.

(1) ينظر: سيد، قطب. التصوير الفني في القرآن الكريم. ص 34.

(2) ينظر: محمد، بازمول. كتاب علم المناسبات في السور والآيات. ص 28-29.

الثاني: مناسبة ختام السورة لمطلع السورة الآتية بعدها.

الثالث: مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي تليها⁽¹⁾.

• أنواع التناسب عند أحمد أبي زيد: أما التناسب عند هذا المؤلف فقد ربطه بالدراسة البيانية وهذا واضح في عنوان الكتاب-التناسب البياني في القرآن-وقد قسم التناسب إلى قسمين كبيرين: التناسب المعنوي والتناسب اللفظي والإيقاعي، فذكر في هذين القسمين ما يفوق الستين نوعاً أجملها في الأنواع الرئيسية الآتية:

أ- التناسب المعنوي: وقد قسمه إلى ستة أنواع:

1. التناسب بين مطلع السورة وموضوعها.
2. التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها.
3. التناسب بين الحلقات القصصية وموضوع السورة.
4. التناسب المعنوي بين التعقيبات القرآنية.
5. تناسب المعاني المتقابلة.
6. التناسب ووحدة النسق.

ب- التناسب اللفظي والإيقاعي: وقسمه إلى سبعة أنواع هي:

1. تناسب المشاكلة.
2. تناسب المجاورة والاتباع.
3. التناسب الصوتي والإيقاعي.
4. التناسب بين المعاني وترتيب المقاطع.
5. التناسب في تأليف المقاطع الصوتية القرآنية.
6. التوازن وتناسق المقدار.
7. تناسب الفواصل⁽²⁾.

(1) محمد، بازمول. علم المناسبات بين السور والآيات. ص 29.

(2) للاطلاع على الأنواع الجزئية يجب العودة إلى كتاب التناسب البياني في القرآن لأحمد أبي زيد من ص 55 إلى ص

ورغم أن المؤلف يعترف بصعوبة الإلمام بما هو مبثوث في القرآن الكريم من أنواع في التناسب البياني والمعنوي إلا أن دراسته من أهم الدراسات الأولى المفصلة في هذا العلم. وقد اعتبر الكثير من العلماء أن التناسب في القرآن ينقسم بحسب الحروف والكلمات والجمل إلى ثلاثة أنواع وهي:

1. تناسب الحروف في الكلمات.

2. تناسب الكلمات في الجمل.

3. تناسب نظم الآيات في السور⁽¹⁾.

وهذه الأنواع الثلاثة طبعاً خاصة بالتناسب في السور، أو بعبارة أخرى تعبر عن المناسبات الداخلية، وهي موجودة في القرآن كله، إذ أنه لا يخفى على أحد أن بلاغة القرآن قد أعجزت مصاقيع العرب حتى أعتى كفارهم اعترف أنه كلام غير البشر⁽²⁾.

تعتبر هذه الدراسات نماذج تناولت أنواع المناسبات في القرآن الكريم، والواضح أنها تشترك في أنواع رئيسية وإن اختلفت المسميات، ولكن تتباين في التفريعات الجزئية وذلك حسب زاوية كل دراسة، فإن كان للأنواع حسب ما سبق قسمين: قسم معنوي وقسم لفظي، فإن الذي يعنينا في دراستنا هو القسم اللفظي، لكن يجدر بنا ذكر بعض الأمثلة عن التناسب المعنوي قبل تخصيص الفصل التطبيقي لنماذج من التناسب اللفظي في القرآن.

- مناسبة مطلع السورة لموضوعها - براعة الاستهلال:

مثال: يقول تعالى في مطلع سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ...﴾، فالمناسبة واضحة بين ما دارت عليه السورة من أحكام نكاح النساء، وحرمانه والمواريث المتعلقة

(1) أورد هذه الأنواع الأستاذ محمد شعباني في تحقيقه لكتاب البرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي. وذلك في الجزء الأول من الكتاب أثناء دراسته لموضوع التناسب بصفة عامة. ص 76.

(2) ينظر: ابن جرير، الطبري. جامع البيان في تفسير القرآن. مج 10. ج 29. [د. ط.]. 1398هـ/1978م. دار الفكر. بيروت. ص 98.

بالأرحام، فإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم وخلق حواء منه، ثم بثّ منهما رجالاً ونساء⁽¹⁾.

- التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها:

مثال: افتتحت سورة النساء ببدء الخلق والولادة وختمت بأحكام الوفاة، وفتحت بآيات المواريث والكلالة، وختمت بمثل ذلك⁽²⁾.

- التناسب بين الحلقات القصصية وموضوع السورة:

مثال قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، التي جاءت حلقاتها موزعة بين العديد من السور، وذلك حسب خدمتها لموضوع السورة، فلو رجعنا إلى سورة الأنعام - التي عرضت فيها قصة بحثه عن ربه واهتدائه إليه بعد تأمله في ملكوت الله عز وجلّ، والسورة تتناول الحديث عن العقيدة وإثبات وحدانية الله من خلال قدرته المبدعة في الكون - لوجدنا هذه الحلقة من القصة-قصة إبراهيم-تناسب تماماً موضوع السورة التي سمّاها بعض أهل العلم سورة دلائل التوحيد⁽³⁾.

- تناسب المعاني المتقابلة:

مثال قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾⁽⁴⁾، والقياس بدأ يبدأ ثلاثياً ولكن القرآن خالف القياس مراعاة للتناسب بين هذا الفعل والآخر⁽⁵⁾، ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾⁽⁶⁾.

قال أبو حيان الغرناطي: عدل إلى فعيل، يعني: «بشيراً ونذيراً» للمبالغة لأن فعيل من صفات السجايا والعدل في بشير للمبالغة مقيس عند سيبويه إذا جعناه من بشر، لأنهم قالوا

(1) ينظر: عبد الرحمان، السعدي. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. ط1. 2000م. مكتبة النبلاء. [د.م]. ص163.

(2) ينظر: جلال الدين، السيوطي. مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع. تحقيق: محمد بازمول. ط1. 1423هـ/2002م. المكتبة المكية. مكة المكرمة. ص128.

(3) عبد الرحمان، حينكة الميداني. العقيدة الإسلامية وأسسها. ط3. 1983م. دار القلم. دمشق. ص143.

(4) سور العنكبوت الآية 18.

(5) أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن الكريم. ص132.

(6) سورة البقرة الآية 118.

بشير مخففا وليس مقيسا من نذير لأنه من أنذر (1).

- مناسبة اسم السورة لموضوعها:

مثاله: سورة الأنعام سميت بهذا الاسم لكون الأنعام خلق عظيم دال على قدرة الله، وهي من ضمن الدلائل التي اشتملت عليها السورة، ولكن لما كان التفصيل مستغرقا فيها أكثر من غيرها سميت بهذا الاسم (2).

- مناسبة مطلع السورة لمقاطعها:

مثال ذلك: قوله تعالى في سورة المائدة الآية الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (01) أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (02)﴾ (3).

وذكر في مقطعها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (4).

وقال أيضا: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (98) جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (99)﴾ (5)، وهنا توافق في المعنى بين بداية السورة ونهايتها.

- مناسبة تذييل الآية لموضوع الآية:

(1) ينظر: أبو حيان، الأندلسي. البحر المحيط. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

ط1. [د.ت]. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ص 367.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 270.

(3) سورة المائدة الآية 01-02.

(4) سورة المائدة الآية 89.

(5) سورة المائدة الآية 98-99.

من أمثلته: قوله تعالى في سورة آل عمران الآية: ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾⁽¹⁾، بقليل من التأمل ندرك أن الآية ختمت بهذا الختام لتدل أن الله عز وجل سيحبط كيد المنافقين الذين يكيدون ضد المؤمنين إذ هو محيط بما يعمل أعداء أوليائه، وهو قدير على نصره أوليائه، وإحباط مكائد أعدائهم، سيفعل ذلك لا سيما إذا طمأنهم بقوله أنا محيط بما يعمل أعداؤكم ضدكم⁽²⁾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾، والتعقيب بهذين الاسمين الكريمين يدل على أن مجرد الاستعاذة باللسان لا تكفي بل لابد من تواطؤ القلب مع اللسان فهو تعالى سميع لما يقال عليم لما يدور في الضمائر⁽⁴⁾.

ومن المناسبات الخارجية:

مناسبة موضوع السورة لموضوع التي قبلها:

مثال: سورة الكوثر وسورة الماعون: حيث وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، ثم ذكر في مقابلة البخل إنا أعطيناك الكوثر أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة "فصل لربك" أي دم عليها، وفي مقابلة الرياء "لربك" أي إرضاء الله لا الناس، وفي مقابلة منع الزكاة "وانحر" وأراد به التصدق بلحم الأضاحي⁽⁵⁾.

مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها:

مثال افتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به وذلك في قوله في أول آية منها: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقوله تعالى:

(1) سورة آل عمران الآية 120.

(2) ينظر: عبد الرحمان، حبنكة الميداني. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل. ط1. 1400هـ/1980م. دار القلم. دمشق. ص432. 433.

(3) سورة الأعراف الآية 200.

(4) ينظر: خالد، بن عثمان السبت. قواعد التفسير جمعاً ودراسة. ج 2. ط 1. 1421هـ. دار ابن عفان. مصر. ص 744.

(5) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن. ج 2. ص 118.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، فالأمر بالشيء في الخاتمة يتبعها معنى القيام بالفعل في بداية السورة الموالية.

مناسبة موضوع الآية في السورة لموضوع آية في السورة السابقة:

مثال قوله تعالى في سورة غافر الآية 62: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَىٰ تُوْفُقُونَ﴾ مناسب لموضوع الآية 59 من سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾⁽²⁾.

مناسبة مطلع السورة لمطلع التي قبلها:

مثاله: قال السيوطي: «لما كانت هذه السورة قرينة البقرة وكالمكملة لها: افتتحت بتقرير ما افتتحت به تلك»⁽³⁾، ففي الأول يقول تعالى: ﴿الم ذَلِكِ الْكِتَابُ لَّا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾⁽⁴⁾. وقال في الثانية: ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (01) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ (02) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ (03) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (04)﴾⁽⁵⁾.

أما القسم الثاني من أنواع التناسب والذي سنسلط عليه الضوء في الجانب التطبيقي-كما سلف الذكر-باعتبار أن دراستنا لغوية بالدرجة الأولى، فيتعلق بالعناصر اللفظية التي امتزجت في القرآن على نسب خاصة جعلت من عباراته حلقات متألفة بصورة غير طبيعية وخارجة عن حدود كلام البشر⁽⁶⁾، إذ يتأنق القرآن في اختيار ألفاظه، فيضع كل كلمة موضعها اللائق بها، فتأتي مستقرة في مكانها متلائمة مع ما يجاورها من ألفاظ، ومناسبة

(1) سورة الواقعة الآية 99.

(2) ينظر: عبد الرحمان حبنكة الميداني. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل. ص 141.

(3) السيوطي. أسرار ترتيب القرآن. 63.

(4) سورة البقرة الآية 03.

(5) سورة آل عمران الآيات 01-04.

(6) ينظر: مصطفى، صادق الرافعي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. تحقيق: عبد الله المنشاوي. [د. ط.]. [د. ت.]. دار

الفكر العربي. بيروت. ص 247.

للسياق الذي ترد فيه، ومن خلال هذا الاختيار الدقيق للألفاظ تأتي كل آية حافلة بالفكرة العميقة والمعنى البعيد، ولما بين الكلمات من فروق، ولما يبحثه بعضها في النفس من إحياءات خاصة، دعا القرآن ألا يستخدم لفظ مكان لفظ آخر (1)، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (2).

وهذا النوع يضم ما له علاقة باللفظ من حروف وكلمات وجمل، فالكلام العربي يتركب من ثلاثة: حروف هي من أصوات وكلمات هي من الحروف، وجمل هي من الكلم (3)، فتتناسب الألفاظ في السورة الواحدة أو في الآية الواحدة أو بين السور أو بين الآيات، لتشكل نظاماً معجزاً لكلام الله عز وجلّ.

قال الدكتور عبد الله دراز: «فإذا ما اقتربت بأذنك قليلاً فَطَرَقْتُ سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة فاجأتك منه لذّة أخرى في نظم تلك الحروف ورفضها وترتيب أوضاعها فيما بينها» (4)، وقال الرافي: «فلو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيتها حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف نفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي» (5).

ويمكن أن ندرج لهذا القسم لهذا القسم عدة أنواع قمنا بالتطبيق عليها في فصلين، أول فصل يخص التناسب الحاصل في السورة الواحدة، أي التناسب الداخلي، واخترنا فيه:

1. التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها.
2. التناسب بين الحروف المقطعة أول السورة وألفاظها.
3. تناسب الفواصل (6).

(1) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 247.

(2) سورة البقرة الآية 103.

(3) ينظر: مصطفى، صادق الرافي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ص 209.

(4) ينظر: محمد، عبد الله دراز. النبأ العظيم. ص 103.

(5) ينظر: مصطفى، صادق الرافي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ص 227.

(6) المقصود هنا هو التناسب بين نهايات الآيات.

4. التناسب الصوتي والإيقاعي.

5. تناسب المشاكلة⁽¹⁾ وتناسب المجاورة⁽²⁾ وتناسب الاتباع⁽³⁾ في الآيات.

وهنا لم نجد صعوبة لوفرة الدراسات في التناسب الداخلي، أما التناسب الخارجي بين السور فهو في نظرنا يحتاج لحشد جهود الدارسين أكثر، إذ استعنا ببعض الدراسات فيها، واجتهدنا في معظمها، عسانا نوفق في هذا، إذ كانت أنواع التناسب الخارجي في الفصل الثالث كالتالي:

- التناسب بين أول السورة وخاتمة ما قبلها.
- التناسب بين السور في المطلع.
- التناسب بين السور في الخواتيم.
- التناسب بين الآيات في السور المختلفة.
- التناسب الصوتي بين السور.

(1) المشاكلة: هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً كقوله: (تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ)، وقوله: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ). فإطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو لمشاكلة ما معه. ينظر: القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ج 1. دار الكتاب. لبنان. ط 5. 1980م. ص 327.

(2) قال أحمد أبو زيد في التناسب البياني: «ذكر علماء اللغة أن العرب يحملون اللفظ على ما يجاوره ويغيرون كثيراً من كلامهم عن القوانين النحوية أو الصرفية للاتباع أو المجاورة كما جرت عادة النحاة أن يعللوا بالمجاورة كثيراً من الظواهر النحوية». ص 414.

(3) الاتباع: هو أن تتبع الكلمة على وزنها ورويها وإشباعاً أو تأكيداً وهو قول ابن فارس ينظر: جلال الدين، السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ج 1. [د. ط.]. [د. ت.]. دار إحياء الكتب العربية. [د. م.]. ص 114.

الفصل الثاني: نماذج من التناسب الداخلي

❖ المبحث الأول: التناسب بين فاتحة السورة وخاتمها

❖ المبحث الثاني: التناسب بين الحروف المقطعة أول السورة وألفاظها

❖ المبحث الثالث: تناسب الفواصل

❖ المبحث الرابع: التناسب الصوتي والإيقاعي

❖ المبحث الخامس: تناسب المشاكلة وتناسب المجاورة وتناسب الاتباع

المبحث الأول: التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها:

أولى الفلاسفة والعلماء والأدباء من عهد أرسطو المقدمة والخاتمة عناية بالغة في محاولة منهم إلى لفت انتباه القارئ والسامع وتشويقه، لأن المقدمة هي أول ما يقرع السمع والخاتمة هي آخر ما يقرع السمع، فلا بد أن يتسم كل منهما بعنصر التشويق، كما أسس لذلك أرسطو في تأسيسه لعناصر الحجاج.

وقد أكد الزركشي؛ أن خواتم السور مثل فواتحها في الحسن، لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلها جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام (1).

ومن العلماء الذين اهتموا بدراسة المناسبة بين فواتح السور وخواتمه السيوطي يقول: «مناسبة فواتح السور وخواتمها، وقد أفردت فيه جزء لطيفاً سمّيته: "مرصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع" (2).

ومن أمثلة التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها في جانب التناسب في الألفاظ والتركيب:

سورة القصص: بدأت بأمر موسى ونُصرتَه، في قوله تعالى: ﴿... فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الآية: 16. وخروجه من موطنه، وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيرا للكافرين، وفي آخرها: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ الآية 86.

وذكر الكرمانى في العجائب مثله، قال في سورة (ص) بدأها بالذكر وختمها به، في قوله في المطلع: ﴿صَ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ...﴾، وختمها بقوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ الآية 85.

(1) الزركشي، البرهان. ص 182.

(2) السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج5. [د. ط.]، [ط. ت.]. مكتبة التراث. [دم.]. ص 1851.

وفي سورة (القلم) نجد في بدايتها قوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ الآية 02،
وختمها بقوله: ﴿... إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ الآية 51.

النجم: بدأت بالنجم، وهو الثريا، وختمت بذكر الشعرى وهي نجم نيرٍ يطلع عند شدة الحر،
والمراد بالنجم في الآية النجوم مطلقاً، من إطلاق الواحدة وإرادة الجمع.

فتحت هذه السورة بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ
صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (1).

وختمت بالحديث عنه عليه الصلاة والسلام: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ (2).

القمر: بدأت باقتراب الساعة وختمت بها، قال تعالى: ﴿اقتربت الساعة وأنشأ القمر﴾ (3).
وقوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةَ أَدَهَى وَأَمْرٌ﴾ (4).

وسورة (ق) أول آية منها: ﴿ق وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾، وختمت بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾ (5).

الرحمان: افتتحت باسم الله جل جلاله: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (6)، وختمت به: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ
رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (7).

الحشر: أول آية منها قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾، وآخرها: ﴿... يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (8).

(1) سورة النجم الآية 02.

(2) سورة النجم الآية 55.

(3) سورة القمر الآية 01.

(4) سورة القمر الآية 46.

(5) سورة (ق) الآية 04.

(6) سورة الرحمان الآية 01.

(7) سورة الرحمان الآية 77.

(8) سورة الحشر الآية 24.

المزمل: بدأت بقيام الليل وختمت به، قال الله تعالى في أول آية: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ...﴾ (1).

آل عمران: وفي بداياتها قوله: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (2)، وختمت بقوله تعالى: ﴿... إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (3).

الأنفال: افتتحت بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (4)، وختمتها بقوله: "والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم" (5).

التوبة: افتتحت بقوله تعالى: ﴿... وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ...﴾ (6)، وختمت بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ...﴾ (7).

يونس: في أولها: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ...﴾ (8)، وفي آخرها: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ...﴾ (9).

هود: افتتحت بالقرآن في أول آية: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، واختتمت به: ﴿... وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (10).

(1) سورة المزمل الآية 18.

(2) سورة آل عمران الآية 09.

(3) سورة آل عمران الآية 194.

(4) سورة الأنفال الآية 04.

(5) سورة الأنفال الآية 75.

(6) سورة التوبة الآية 03.

(7) سورة التوبة الآية 130.

(8) سورة يونس الآية 02.

(9) سورة يونس الآية 109.

(10) سورة هود الآية 119.

الرعد: افتتحت بالقرآن: ﴿الر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ، وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وختمت به: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا، قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (1).

إبراهيم: افتتحت بالقرآن: ﴿الر، كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، واختتمت به قال تعالى: ﴿هُذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (2).

الحجر: في أولها: ﴿الر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾، وفي ختامها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (3).

الأنبياء: في أولها "﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾، وفي آخرها: ﴿واقترَب الوعدُ الحقُّ...﴾ (4).

النمل: بدئت بذكر الكتاب، وأنه هدى قال تعالى: ﴿طس، تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، وختمت بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمِنْ أُمَّتِي أَيْتِي لِيَهْتَدِيَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (5).

سبأ: بدأت بقوله: ﴿... عَالِمِ الْغَيْبِ...﴾ (6)، وختمت بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْفُؤُ بِأَلْحَقِّ عَالِمِ الْغُيُوبِ﴾ (7).

يس: بدئت بوصف القرآن: ﴿يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾، وختمت به: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا

(1) سورة الرعد الآية 44.

(2) سورة إبراهيم الآية 54.

(3) سورة الحجر الآية 87.

(4) سورة الأنبياء الآية 96.

(5) سورة النمل الآية 94.

(6) سورة سبأ الآية 03.

(7) سورة سبأ الآية 48.

يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿1﴾.

الصفات: أولها: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾، ثم: ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (2).

ص: أولها: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ...﴾، وآخرها: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (3).

الزمر: بُدئت: ﴿... فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (4)، وفي آخرها: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (5).

الإخلاص: مطلعها (أحد) ومقطعها (أحد)، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (6).

الناس: مطلعها الناس ومقطعها الناس، وتكرر فيها خمس مرات مختلف المعاني ولقد عد من الجناس.

نستنتج من خلال ما تقدم من أمثلة أن فاتحة أي سورة من هذه السور استهلكت بالحديث عن موضوع من الموضوعات وفي هنا إشارة إلى الأهمية التي يحملها الموضوع، فدائماً المقدمة أو مطلع أو بداية أي نص الهدف منها هو لفت انتباه السامع أو القارئ لأهمية الموضوع الذي افتتحت به من جانب، ومن جانب آخر الأهمية التي تحتلها في علاقتها ببقية الأجزاء فهي من تتحكم في هذه الأجزاء.

وقد جاء في "نظم الدرر" للبقاعي عن أبي بكر رضي الله عنه: «في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور».

وقد ركزنا على ما تقارب من الألفاظ والتراكيب بين الفاتحة والمقطع الأخير من السور مبتعدين قدر المستطاع عن الجانب المعنوي والبلاغي، وهذا لطبيعة دراستنا اللغوية.

(1) سورة يس الآية 68.

(2) سورة الصافات الآية 165.

(3) سورة (ص) الآية 85.

(4) سورة الزمر الآية 02.

(5) سورة الزمر الآية 63.

(6) سورة الإخلاص الآية 04.

المبحث الثاني: التناسب في الحروف المقطعة أول السورة وألفاظها:

فواتح السور هي بعض المفاتيح التي نستطيع بفضلها الولوج إلى بحر إعجاز القرآن الذي لا نكاد نفقه فيه ولو شطراً من حقائقه التي تبقى محل سعي الباحثين إلى أن تفنى الحياة.

ومن عجائب هاته المطالع: حروف تآلفت في تركيب لفظ لا يشكل كلمة لغوية، بل أصواتاً تقرأ كل واحدة على شكل حرف هجاء، ولذلك تدعى "أحرف تهجي" ونفصلها في القراءة، وتنطق مقطعة وهذا سبب تسميتها بالحروف المقطعة تتصدر مطالع تسع وعشرين سورة، وعدد هاته الحروف من غير تكرار أربعة عشر حرفاً، اجتهد الباحثون في جمعها في تركيب يسهل حفظه، منها ما ذكره الزركشي في برهانه، فمنهم من ركبها في قوله: "على صراط حق نمسكه" و"طرق سمعك النصيحة" و"صن سراً يقطعك حمله"، وقيل: "من حرص على بطة كاسر" وقيل: "سر حصين قطع كلامه" (1)، وعدد الحروف المقطعة من دون حذف المكرر تسعة وعشرون حرفاً، وهو نفس عدد السور التي افتتحت بها تلك الحروف. ومسألة تفسير هاته الحروف أمر تشعب الحديث فيه وطال، نحاول لملمة أطرافه حول قضية إدراك معناها - الذي لا ينكر وجوده أحد - وإنما اختُلف في الجزم بالمراد منها، إذ وجدنا اتجاهين:

أ/ **الاتجاه الأول:** يرى أن هاته الحروف مما استأثر الله بعلمه ولا يجب الخوض في البحث عن أسرارها، وفي هذا قال السيوطي: «ومن المتشابه أوائل السور والمختار فيها أيضاً أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى» (2).

ب/ **الاتجاه الثاني:** يرى أن المراد منها معلوم إلا أنهم لم يجتمعوا على معنى واحد، وتضاربت أقوالهم وتفاسيرهم، نراها اجتهادات مشكورة قد تقبل التأييد أو الرفض أحياناً.

(1) الزركشي، البرهان. ص 119.

(2) السيوطي، الإتيقان. ج 2. ص 308.

وما أقتنعنا من الحقائق المتوصل إليها إرجاع حروف التهجي إلى أنها ليست رموز كتابية وإنما رموز صوتية، وهو طرح ذكره الباحث زكي مبارك⁽¹⁾، ونؤيده في هذا الرأي الذي يرجحه اعتماداً على مبدئين مقنعين في نظرنا:

1. تباعد مخارج هاته الحروف مما يسهل قراءتها ويجعل وقعها محموداً، مؤثراً على السامع مما يؤكد طبيعتها الموسيقية.
2. مبدأ ارتباط القرآن بظاهرة السجع في عمومه.

وفي دراستنا هاته لا نبحث في قضية معانيها إذ لا نرقى - الآن على الأقل - لهذا، بل نحاول إبراز بعض العلاقات التي تربط بين هاته الحروف في المطلع وباقي الألفاظ في مضمون السورة المفتحة بها، لكن قبل هذا علينا بيان مواضع هذه الحروف في السور من خلال هذا الجدول:

رقمها	السورة	فاتحة السورة
30	الروم	الم
31	لقمان	الم
32	السجدة	الم
36	يس	يس
38	ص	ص
40	غافر	حم
41	فصلت	حم
42	الشورى	حم عسق
43	الزخرف	حم
44	الدخان	حم
45	الجاتية	حم

رقمها	السورة	فاتحة السورة
01	البقرة	الم
03	آل عمران	الم
07	الأعراف	المص
10	يونس	الر
11	هود	الر
12	يوسف	الر
13	الرعد	المر
14	إبراهيم	الر
15	الحجر	الر
19	مريم	كهيعص
20	طه	طه

(1) ينظر: زكي، مبارك. النشر الفني في القرن الرابع. ج 1. ط 2. [د. ت.]. مكتبة السعادة. مصر. ص 41-42.

46	الأحقاف	حم
50	ق	ق
68	القلم	ن

26	الشعراء	طسم
27	النمل	طس
28	القصص	طسم
29	العنكبوت	الم

وقد لاحظنا أن حروف التهجي لها علاقة قوية بفواصل الآيات، إذ تتوافق وتتناسب نغماتها، ففاتحة سورة مريم "كهيعص" تقرأ بالهجاء "كاف ها يا عين صاد"، فيتضح المد الذي لا تخفيه الحروف الساكنة آخره، وهذا يتفق مع فاصلة الآية اللاحقة ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً﴾، وما بعدها إذ نلاحظ التناسب الموسيقي في المد.

التناسب نفسه يتكرر مع سورة طه التي نقرأ فاتحتها "طاها" فتتوافق موسيقاها مع الآية الموالية ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ إذ يماثل ألف حروف الافتتاح الألف المقصورة المتواجدة في أغلب آيات السورة.

كما تقرأ بداية سورة الشعراء "طا سين ميم" (1) "طسم تلك آيات الكتاب المبين" (2)، فالنون والميم المسبوقتين بياء المد واللين تتقارب مع صوت الفاصلة الموالية، وهذا ما يفسر تقديم هارون على موسى في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (1)، في حين آخر في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (46) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (47)﴾ (2).

هنا في التفاتة بسيطة منا لذكر تناسب الحروف المقطعة مع الفواصل على اعتبار أن الفاصلة جزء من اللفظة، موضوع مبحثنا هذا المزمع عرض بعض النماذج المؤكدة لوجود تناسب بين هاته الفواتح والألفاظ في مضمون السورة.

(1) سورة طه الآية 70.

(2) سورة الشعراء الآية 46-47.

نبقى مع نفس المثالين السابقين، ونستدل بقول فاضل صالح السامرائي: «سورة طه تبدأ بالحرفين: الطاء والهاء، وسورة الشعراء تبدأ ب (ط. س. م)، فكنتا السورتين تبدأ بالطاء غير أن الحرف الأخير من طه هو الهاء، وهو أول حروف هارون، وليس فيها حرف من حروف موسى، والحرف الأخير من (طسم) هو الميم وهو أول حرف من حروف موسى وليس فيها حرف من حروف هارون، أفلا يزيد حسنا على حسن تقديم هارون على موسى في طه، وتقديم موسى على هارون في الشعراء» (1).

فباستقراءنا لألفاظ السورتين نجد ذكر هارون كثر في سورة طه، إذ كان خطاب الأمر بتبليغ الدعوة فيها من الله موجها لموسى وهارون معاً، بينما قل ذكر هارون في سورة الشعراء لأن خطاب الأمر بتبليغ الدعوة موجه إلى موسى.

أما سورة (ق) فهي نموذج للإعجاز الحاصل إثر تناسب المطع (ق) مع ألفاظ السورة، إذ لا توجد سورة غيرها تتضمن حرف القاف أكثر منها بتطرقها لمواضيع تشمل في تركيب مسمياتها حرف القاف: تناولت السورة ذكر القرآن في قوله: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ (1)﴾، وذكر الخلق في قوله: ﴿أَفَعَبَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لُبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15)﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ... (16)﴾.

وذكر التشقق والحق والرزق والقتل ... وغير ذلك.

وكذلك في سورة القلم: "ن والقلم" فإن فواصلها على هذا الوزن مع ما تضمنته من ألفاظ النونية.

وقد تحدث الزركشي عن خصومات سورة (ص)، فأولها خصومة الكفار من النبي صلى الله عليه وسلم في الآيات (5-2) عبّر فيها عن الخصام بلفظ شقاق ولم ترد في هاتيه الآيات إلا صاد واحدة، لكن في اختصام الخصمين عند داوود عليه السلام: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (20) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (21)﴾، ثم

(1) فاضل، صالح السامرائي. التعبير القرآني. [د. ط.]. 1422هـ-2002م دار عمار. عمان. ص 224.

تخاصم أهل النار: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (63)﴾، ثم اختصام الملائكة الأعلى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (68)﴾، ثم تخصصم إبليس واعتراضه على أمر ربه بالسجود لآدم: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (73)﴾، وهاته الخصومات سواء مصرح بلفظها الصريح أو المرادف استنتجها الزركشي في برهانه (1).

ويتأمل بسيط منا لسورة البقرة أدركنا أن كل آياتها المائتين وستة وثمانون شملت كل حروف مطلعها "الم" عدا ثلاث آيات غابت عنها الميم وهي الآيات: 203-175-44.

نفس الأمر وجدناه في آل عمران التي غابت الميم عن آيتين فقط 131-32، كذلك سورة يونس المفتحة بـ "الر"، فهناك أكثر من مائتي كلمة وقع فيها "الر": الكافرون، الأرض، الأمر، القمر، النهار، الأنهار، الشر، الخير، الضر، للمسرفين، القرون، المجرمون، المنظرين، الشاكرين، الصدور، البشرية، الأبصار، القرآن، الممترين، الخاسرين، النذر، المنتظرين، الغفور، الرحيم، البر، البحر، ... إلخ.

نستنتج أن للحروف المقطعة علاقة قوية مع ألفاظ سورتها من حيث احتوائها على العديد من حروفها ونراها تحتاج بحثاً مستقلاً للوصول حتى إلى نوع الحروف ودلالات تواجدتها المختلفة معنوياً ولغوياً.

(1) ينظر: الزركشي، البرهان. ص 69-73-78.

المبحث الثالث: تناسب الفواصل:

إذا كان المرء يعجب بحسن اللفظ وجودة اختياره، فلا شك أنه يسحر بجمال موسيقاه وعذب نغماته وهذا ما تحققه الفاصلة في القرآن الكريم التي وإن جمعت مع القافية مهامها إلا أنه يحظر علينا تسميتها بذلك ما دام ليس شعراً بل عظمة خالق تجسدت في كلمات معجزة مطربة.

فإذا كانت الفاصلة كما قال الداني: «كلمة آخر الجملة»، وقال القاضي أبو بكر: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني» (1).

فإنها لا محالة تأخذ معنى مقارياً لمعناه اللغوي وهو الفصل.

إذ أن الفاصلة تفرق بين الآيات باستراحة خطاب تضيف دوراً فعالاً في إيصال المعنى وإضافة رونق خاص عند تلقيه، وقد تخرج قواعد اللغة أحياناً لتحقيق توافقها وتناسبها مع غيرها وهذا بعدة طرق منها:

- التوسع في استعمال أبنية المصدر:

مثلاً نجد القرآن استعمل للفعل "تاب" ثلاث مصادر:

التَّوْبُ: قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ...﴾ (2).

التَّوْبَةُ: قال تعالى: ﴿... تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...﴾ (3).

المتاب: قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (4).

التوب الأولى ليس فاصلة لكنها بدلت عن أصلها التوبة حفاظاً على جرس موسيقي مناسب للفظة السابقة "الذنب"، والثانية سليمة استعملت مفعولاً مطلقاً يزيد بتكرار اشتقاقه نغمة جميلة.

أما الثالثة: متاباً فقد تم فيها التغيير حفاظاً على انسجامها مع الفواصل الأخرى

(1) الزركشي. البرهان. ص 53.

(2) سورة غافر الآية 03.

(3) سورة التحريم الآية 08.

(4) سورة الفرقان الآية 71.

المنتھية بمد والتي جاءت معظمها على وزن فعلا، وهذا ما يخص مبحثنا الخاص بمراعاة الفواصل.

كما استعمل القرآن للفعل "خسر" ثلاث مصادر وهي:

- الخسر: قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿... وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ (2).

- الخسار: قال تعالى: ﴿... وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (3).

- الخسران: قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

مُبِينًا﴾ (4).

صيغتي الخسر والخسار وردتا فواصل آياتها مع مراعاة المعنى وناسبت ما وقعت بينهما من فواصل مجاورة، بينما استعمال مصدر الخسران بهذا الشكل رغم أنها ليست فاصلة، فهذا لسبقها بصيغة الشيطان التي في نظرنا رافقتها في الشكل لعد هذا الأخير سبب في الخسارة في الأصل وربما لتوافق نغمات المصدر مع لفظ الشيطان السابقة والفاظ الفواصل اللاحقة.

وكمثال آخر للمصدر نجد القرآن استعمل مصدرين للفعل "عتا":

- عتوا: قال تعالى: ﴿... وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (5).

- عتيا: قال تعالى: ﴿... وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا﴾ (6).

هذه الصيغة ناسبت ما جاء بعدها وقبلها من فواصل تنتهي بياء مسبوقة بحرف متحرك منتھية بألف الإطلاق.

هذا إضافة إلى أمثلة عديدة حول المصدر، بحيث يتغير وزنه ليتناسب مع سياقه

(1) سورة العصر الآية 01.

(2) سورة الطلاق الآية 09.

(3) سورة نوح الآية 21.

(4) سورة النساء الآية 119.

(5) سورة الفرقان الآية 21.

(6) سورة مريم الآية 07.

سواء كان فاصلة أو ضمن آية يعين في خلق موسيقى عذبة للكلمات ولو بمخالفة القواعد. فكثير ما تخالف الفواصل الأصول حفاظاً على رونق أو تحقيقاً لإعجاز غير غريب على كلام الله، وهذا لمخالفة ليست مذمومة، ففي قوله تعالى: ﴿... وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾⁽¹⁾، ألحقت الألف بالظنون لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل مثل قوله: ﴿... فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾⁽²⁾، ﴿... وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾⁽³⁾.

- وقد يكون بحذف همزة أو حرف اطراداً كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِر﴾⁽⁴⁾.

- الجمع بين المجرورات في قوله: ﴿... ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾⁽⁵⁾.

إذ تتوالى في هذه الآية أحرف جر ثلاثة وأخر الجواب وهو تبيعاً حتى تتناسق هاته النهاية مع نهاية ما قبلها وما بعدها والتي تنتهي بمد ألف.

- الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾⁽⁶⁾.

أو عن الجمع في قوله: ﴿... وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾⁽⁷⁾، ولم يقل أئمة، لمناسبة فواصل سورة الفرقان.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾⁽⁸⁾، والأصل أنهار ولكنها وحدت لأنه قول بالتوحيد رؤوس الآي المفردة.

إضافة إلى العدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال في قوله: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾⁽⁹⁾، فلم يقل سبحانه ففريقاً قتلتم وهذا ليناسب باقي الفواصل.

وقد يجمع أو يثنى ما أصله الإفراد كقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾⁽¹⁰⁾،

(1) سورة الأحزاب الآية 10.

(2) سورة الأحزاب الآية 67.

(3) سورة الأحزاب الآية 66.

(4) سورة الفجر الآية 04.

(5) سورة الإسراء الآية 69.

(6) سورة طه الآية 114.

(7) سورة الفرقان الآية 74.

(8) سورة القمر الآية 54.

(9) سورة البقرة الآية 86.

(10) سورة الرحمن الآية 45.

ولمراعاة الفاصلة التي بعدها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (1). والأمثلة عديدة فيما سبق التمثيل له.

ولتحقيق تناسب الفواصل يتجاوز العدول مستوى اللفظ ويتعداه إلى التركيب لتحقيق الوظيفة المزدوجة للألفاظ مراعاة للمعنى والتناسب الإيقاعي.

نحو تقديم المعمول إما على العوامل: ﴿... أَهْلُؤَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (2)، وإما على الفاعل: "وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ" (3).

- تقديم خبر كان على اسمها نحو: ﴿... وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (4).

- تقديم الفاضل على الأفضل نحو: ﴿... بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (5).

- تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ (6).

- تقديم الضمير على ما يفسره: "فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى" (7)، إذ أخرج الفاعل "موسى" مراعاة للفاصلة.

- ومنه تأخير الاستعانة عن العبادة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (8).

يرى الزركشي أن الاستعانة قبل العبادة وإنما أخرت لأجل فواصل السورة.

نستنتج من خلال هاته الأمثلة أن انسجام فواصل القرآن دليل على أن القرآن كل متكامل، فلا إن كانت أجزاءه مترابطة بهذا الشكل المحكم فلا ريب أن يكون الكل كذلك، غير أن الحرص على تناسب الفواصل لا يعني إهمال المعنى بل إن اللفظة موضوعة في مكانها بشكل معجز حتى لتظن أنك مررت بالإيقاع نفسه في كذا موضع من القرآن وهذا سر حلاوته.

(1) سورة الرحمان الآية 46.

(2) سورة سبأ الآية 40.

(3) سورة القمر الآية 41.

(4) سورة الإخلاص الآية 04.

(5) سورة طه الآية 69.

(6) سورة النجم الآية 25.

(7) سورة طه الآية 66.

(8) سورة الفاتحة الآية 04.

المبحث الرابع: التناسب الصوتي والإيقاعي:

اللفظ عبارة عن مجموعة أصوات عندما تجتمع تدلنا على معنى معين، وهذا ناتج عن الارتباط الشديد بين الصوت والمعنى، فاللفظ في حقيقته يعبر عن أصوات معينة وكل صوت قد تكون له دلالاته الخاصة به كالتفخيم أو الشدة أو اللين أو الهمس أو التكرار أو غير ذلك.

ولابد في وضع الألفاظ من مراعاة الملاءمة بين أصواتها والموضوع إذ هي تقليد للشيء الموصوف.

لذا يُنظر إلى الكلمة في ذاتها وما تحمله من أصوات، وتأثير هذه الكلمة بأصواتها إذا ما انتظمت مع غيرها من الكلمات في تتابع وتعاقب يحقق الانسجام الموسيقي للألفاظ⁽¹⁾ واللفظ لا ينبغي أن ننظر إليه على أنه مجموعة أصوات بل ينبغي النظر إلى الأدوات التي يحملها اللفظ إذا انتظم مع غيره في عدة جمل تختلف فيما بينها اختلافات صوتية ترجع إلى:

(1) قوة الصوت: كالظاء الذي اجتمعت فيه صفات الجهر، والشدة والإطباق، والاستعلاء...

(2) وضغته كالهاء التي هي مهموسة، رخوة، منفتحة، خفيفة، وهي صفات من صفات الضعف.

(3) أو في طول الصوت وقصره.

فالقدمات وصفوا الأصوات بالقوة، والضعف، ووصفوا لها الحركات أيضاً، فالحركات ما هي إلا أصوات مد قصيرة.

قالوا الضمة حركة قوية، والفتحة حركة خفيفة، والكسرة متوسطة، وذهب بعضهم إلى

(1) ينظر: مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 232.

أن الضمة تدل على العلو والصعود، والكسرة تدل على الانخفاض والهبوط، والفتحة تدل على الاعتدال وصوت الحركات بذلك مستمد من صناعة الموسيقى (1).

لا يمكننا أن نلاحظ أن الأصوات متافرة أو متناسبة وهي معزولة عن سياقها فإذا نظمت الألفاظ في سياق معين على اختلاف مخارج أصواتها وصفاتها «فتتداخل أجراسها، وتتجاوب نغماتها، وعلى قدر تناسبها في الامتزاج تكون حلاوة الإيقاع ورشاقة الصياغة» (2).

وإذا تأملنا القرآن الكريم نجده يراعي الخصائص الصوتية للفظ التي تتفق مع السياق الوارد فيه، فإن كان السياق للتفخيم أو للتهويل، كان في ألفاظه من المقاطع الصوتية ما يدل على ذلك، كزيادة صوت أو تفخيمه، أو كان يدل على التردد أو الحيرة، أو كان في ألفاظه تكرار للصوت، أو كان يدل على التمهل والصبر أو التباطؤ، أو كانت الألفاظ تتوالى فيها السواكن والحركات، بحيث يعقب كل متحرك ساكن إلى آخر ذلك (3).

يقول مصطفى صادق الرافعي: «وحسبك لهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه، إلا فيه ترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعض، مناسبة طبيعية في الهمس والجره والشدة، والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والنقشي والتكرير وغير ذلك» (4).

ومن أمثلة التناسب بين اللفظ والسياق اللغوي:

• **زيادة الصوت:** زيادة الصوت في اللفظ تعطيه طاقات إيجابية لا توجد في اللفظ نفسه، مثل كلمة (مقتدر) إذا ما قورنت بلفظ (قادر) أو (القدير)، كما قال ابن جني: «فاقتدر أقوى معنى من قولهم قَدَرَ» (5).

(1) ينظر: أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن. ص 292.

(2) أحمد، أبو زيد. المرجع نفسه. ص 292.

(3) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 233.

(4) مصطفى، صادق الرافعي. إعجاز القرآن. ص 213-214.

(5) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 134.

فالحديث هنا عن فرعون وقومه فأخذهم على استكبارهم وطغيانهم لا يكون إلا ممن يتصف بالقوة وشدة البأس، فجاء بلفظ مقتدر الذي يعطي هذا المعنى كما أشار ابن جني. وقد تفخم التاء الزائدة في بعض الألفاظ فتتحول إلى صوت الطاء كما وصفه سيبويه: «هو النظير المفخم للتاء»⁽¹⁾، فهو صوت شديد مطبق، وفي حالة النطق بالطاء يكون اللسان مقعراً، أما التاء فهي مرقة.

مثل لفظ (يصطرخون) في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا...﴾⁽²⁾، فالتعبير القرآني عدل⁽³⁾ من لفظ (يصرخون) إلى لفظ (يصطرخون) الدال على التفخيم لاحتوائه على صوت الطاء الدال على ذلك، والصاد أيضاً فالمقام الذي وردت فيه هو مقام تهديد ووعيد للكافرين وتهويل لما يروونه من عذاب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا...﴾⁽⁴⁾.

• **تكرار الصوت:** مثل لفظ (ككبوا) في قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمُ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكَبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95)﴾⁽⁵⁾.

فعدل التعبير القرآني عن لفظ (كبوا) إلى لفظ (ككبوا) لاحتوائه على صوتي الكاف والباء الشديدين الانفجاريين ثم تكرارهما ليدل ذلك على المبالغة والشدة المناسبة للسياق، لأن الله تعالى يتحدث هنا عن الغاوين، وهم عبدة الآلهة، كما قال الزمخشري: «فتكرير اللفظ دلالة على تكرير المعنى فالكبكية تكرير الكب، إذا ألقوا في النار فإنهم يكبون مرة بعد مرة حتى يستقروا فيها»⁽⁶⁾.

(1) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 135-136.

(2) سورة فاطر الآية 37.

(3) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 143.

(4) سورة فاطر الآية 36.

(5) سورة الشعراء الآية 91-95.

(6) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 151-154.

التكرار الصوتي إذا في كلمة واحدة (ككبوا) هو وحيد الصيغة في القرآن الذي يتميز بتكرار صوت الكاف والباء، وإذا ما قمنا باستقراء لألفاظ القرآن نجد يتجنب أسباب التناظر الصوتي.

تجنب تتابع الأصوات، المتماثلة والمتقاربة كتجنب تكرار حروف الحلق في كلنتين متتابعين كما في قوله تعالى: ﴿... مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ...﴾ (1).

نلاحظ أنه انتقل من الثلاثة مباشرة إلى الخمسة، وعدل عن الترتيب في الانتقال من الثلاثة إلى الأربعة، وهذا لتجنب تتابع أصوات الحلق فلو تكرر لفظ أربعة بغير حاجز يباعد بين لفظ (رابعهم، وأربعة) يكون ذلك معيياً لثقل النطق والسمع (لبشاعة التكرار هنا) لأن اللفظين رابعهم وأربعة متجاوران فيهما أربعة أحرف من حروف الحلق وهما العينان والهاءان (2). «منع من ذكر الأربعة هو تجنب تكرار المعاني والألفاظ بغير فائدة» (3).

كما تجنب القرآن تكرار (صوت الكاف) ثلاث مرات فيما هو كالكلمة الواحدة، قال تعالى: ﴿الْمَ يَرَوُا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِّنْ لَّكُمْ ...﴾ (4).
جيء بفعل (مكّن) متعدياً بنفسه في قوله (مكّناهم) ثم جيء به متعدياً بحرف الجر في قوله: ﴿مَا لَمْ نُمْكِّنْ لَّكُمْ﴾، ولو جعله متعدياً بنفسه كما في الكلمة الأولى لتوالى حرف الكاف ثلاث مرات (5).

وذلك يظهر عند النطق الصحيح، فالنون الساكنة تختفي في النطق قبل حرف الكاف، فإذا أخفيت في قولنا (ما لم نمكنكم) اتصل صوت الكاف المشددة بصوت الكاف الذي بعد

(1) سورة المجادلة الآية 07.

(2) أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن. ص 301-302.

(3) ابن أبي الأصبع، المصري. بديع القرآن. تحقيق: حقي محمد شرف، ط 2، [د.ت]. دار النهضة. مصر. ص 334.

(4) سورة الأنعام الآية 07.

(5) أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن. ص 203.

النون، وفي ذلك تتابع ثقيل على اللسان.

- **تعاقب السواكن والحركات:** مثل (ادارتم) على قراءة الجمهور في قوله تعالى: "وَأَذِّقْتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ" (1).

التاء هنا أدغمت في الدال لأنهما من مخرج واحد فلما أدغمت سكنت فاجتلبت لها ألف الوصل، يقول الزمخشري: «معناه اختلفتم وتخاصمتم أو تدافعتم» (2).

تحول (تدارعتم) البادئ بمتحركين متتابعين إلى (ادراعتم) يتميز به من تتابع السواكن والحركات مما يجعل اللفظ يوحي بالتوقف المستمر فالسياق يتطلب ذلك، إذ يدور حول قضية وقع فيها بنو إسرائيل، والله تعالى أراد أن يرفع الغموض عنها، فما كان منهم إذا أمرو أمراً إلا أن يتوقفوا عند ذلك الأمر متسائلين متباطئين في تنفيذ أمره حتى أنهم كادوا لا ينفذون ذلك الأمر (حول ذبح البقرة ولونها ومواصفاتها) الآيات 66-80 من سورة البقرة.

فناسب أن يأتي مع هذا التباطؤ منهم والتوقف المستمر للتساؤل عن أشياء لم يطلبها الله منهم، بهذا اللفظ الذي يتصف بوجود ساكن بعد كل متحرك ليدل على أنهم لا يكادون يخبرون على أمر يقر بهم من تنفيذ ما أراد الله حتى يقفوا متسائلين عن غيره، لذلك استعمل أصوات توحى بتلك التوقفات المستمرة، فهي أصوات انفجارية يحبس الهواء حبساً تاماً عند النطق بها ثم ينطلق دفعة واحدة فلا يكاد ينطلق حتى يحبس ثانية، لنطق صوت آخر، وهو يوحي بما هو عليه هؤلاء القوم من تدافع واختلاف وتخاصم حول القائل الحقيقي (3).

- **الثقل في النطق:** مثل لفظ (اثاقلتم) في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ...» (4). وأصل (اثاقلتم) ثناقلتم، فأدغمت

(1) سورة البقرة الآية 71.

(2) الزمخشري، الكشاف. ص 153.

(3) ينظر: مصطفى، شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن. ص 152-153.

(4) سورة التوبة الآية 38.

في التاء فصارت تاء ساكنة فابتدأت بألف وصل (1) يحقق المناسبة بين اللفظ والسياق، لأنه يصف تتأقلهم وتقاعسهم، وخلودهم إلى الأرض، واستشعارهم مشقة الجهاد، وعزوف أرواحهم عنه، وقد دعوا إليه في عام العسرة، فكان منهم ما وصفت الآية، لذا جاء التهديد البالغ ليواجه تخاذل أرواحهم (2) فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا...﴾ (3).

وكذلك لفظ (أنلزمكموها) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَوْتًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (4).

جاء هذا اللفظ بما يتصف به من ثقل لكثرة أصواته مصورا حال هؤلاء القوم من صعوبة الإلزام بالآيات وهم لها كارهون، ولو فصل الضمير عن الفعل لما صور هذا الاستنقال الذي كانوا يشعرون به وتحيكه الآيات.

(1) الزمخشري، الكشاف. ص 271.

(2) مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن. ص 157.

(3) سورة التوبة الآية 39.

(4) سورة هود الآية 28.

المبحث الخامس: تناسب المشاكلة وتناسب المجاورة وتناسب الاتباع:

I. تناسب المشاكلة

المشاكلة لفظ يعني المشابهة والمماثلة، وهي استخدام اللفظ في غير معناه، لمقابلته مع لفظ آخر، ونجد هذا المصطلح سائدا في عرف المفسرين وعلماء البلاغة، إذ عدوها أصلا من أصول العربية، فهي كما يرون تطلب في الكلام، ويترك من أجلها ما يقتضيه الميزان الصرفي أو القاعدة الإعرابية.

فالمشاكلة في اللغة العربية تطلق على الظاهرة التي يراعى فيها توافق أو تشابه أو تماثل شيئين سواء كانا: صوتين أو لفظين أو لفظ ومعنى أو غير ذلك فيجري أحدهما مجرى الآخر وإن كانا مختلفين (1).

من صور المشاكلة اللفظية:

1) مشاكلة المجازاة: وهي تسمية الجزاء على الفعل باسم الفعل، أو تسمية الفعل باسم الجزاء، وهي تعد من أول صور المشاكلة اللفظية ونجدها بكثرة في الآيات التي تضمنت الإشارة إليها إلى جزاء الله تعالى على الأفعال السيئة كالاستهزاء، والخداع، والمكر، ونسيان الله وآياته في الدنيا (2).

ومن مشاكلة المجازاة:

1. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (13) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (14)﴾ (3).

2. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

(1) ماهر، خضير هاشم. المشاكلة في اللغة العربية (صوتيا وصرفيا). مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية المجلد 18.

العدد 3. 2010. ص 02.

(2) ينظر: أحمد، أبو زيد. التناسب البياني. ص 256.

(3) سورة البقرة الآية 13-14.

- إِلَّا جُهِدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿1﴾.
3. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾ (2).
4. قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (3).
5. قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ، فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (4).
6. وقال تعالى: ﴿... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (5).
7. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا...﴾ (6).
8. قال تعالى: ﴿... إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا، قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا...﴾ (7).
9. وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (8).
10. قال تعالى: ﴿... فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا...﴾ (9).
11. قال تعالى: ﴿... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ...﴾ (10).
12. وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (11).
13. وقال تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ...﴾ (12).
14. وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا...﴾ (13).

نلاحظ من خلال المثال رقم 01 من سورة البقرة الآية 13-14 أن المنافقين إذا خلوا

(1) سورة التوبة الآية 80.

(2) سورة النساء الآية 141.

(3) سورة آل عمران الآية 53.

(4) سورة الأعراف الآية 98.

(5) سورة الأنفال الآية 30.

(6) سورة الرعد الآية 43.

(7) سورة يونس الآية 21.

(8) سورة النمل الآية 50.

(9) سورة الأعراف الآية 51.

(10) سورة التوبة 67.

(11) سورة طه الآية 126.

(12) سورة السجدة الآية 14.

(13) سورة الجاثية الآية 34.

إلى شياطينهم، قالوا إنما نحن مستهزؤون الله يستهزئ بهم.

فسمي الجزاء على الفعل باسم الفعل فلا يجوز الاستهزاء على الله تعالى فانه تعالى متعال عن القبيح والسخرية، يرى الزمخشري في الكشاف أن: «المعنى هنا هو إنزال الهوان، والحقارة بهم، وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه» (1).

لاحظنا من خلال المثال رقم 02 من سورة التوبة الآية 80، أن الله تعالى سمي الجزاء على الفعل باسم الفعل (سمى العقوبة باسم الذنب) (بمعنى أن الله جازاهم على سخريتهم) (2).

ولاحظنا من خلال المثال رقم 03 من سورة النساء الآية رقم 141 أن المشاكلة اللفظية بين كلمة يخادعون وكلمة خادعهم، قال الزمخشري: «هو خادعهم، وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع، حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا، وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة» (3).

أما الأمثلة: 4-5-6-7-8-9 هذه الآيات الكريمت من سورة آل عمران والأعراف، والأنفال والرعد، يونس والنمل، تضمنت المشاكلة اللفظية التي تشير إلى جزاء الله تعالى على مكر عباده وهي تعني مجازاته على المكر.

أما الأمثلة 10-11-12-13-14 فتضمنت هذه الآيات الكريمت من سورة الأعراف، التوبة، طه، السجدة، الجاثية: المشاكلة اللفظية التي تشير إلى جزاء الله، قال الزمخشري: «يفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به» (4).

والقرآن الكريم أثر استعمال هذا النوع من المشاكلة اللفظية في صياغة الآيات التي تضمنت إرشاد العباد إلى العدل في العقاب ورد الاعتداء والجزاء على السيئة، قال تعالى:

(1) الزمخشري، الكشاف. ص 187.

(2) ينظر: أحمد، أبو زيد. التناسب البياني. ص 257.

(3) الزمخشري، الكشاف. ص 573.

(4) الزمخشري، المرجع نفسه 2. ص 82.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ (1).

قال الزمخشري: «والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها دون زيادة» (2).

ونجد هذا الضرب من المشاكلة اللفظية في سور عدة منه ما ورد في سورة التوبة الآية 126، وسورة الصف الآية 05، وسورة المائدة الآية 116، وسورة المؤمنون الآية 72، وسورة البقرة الآية 177، وسورة النحل الآية 126، وسورة الحج الآية 60.

كل هذه الآيات تمثل صوراً لمشاكلة المجازاة وقد وردت في القرآن الكريم بأسلوبين:

1. أن يسمى الجزاء والعقاب باسم الذنب وهو الأكثر وروداً ومنه جميع الآيات التي ذكر فيها جزاء الله على أفعال عباده السيئة مثل ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...﴾ (3).
2. أن يسمى الذنب باسم الجزاء ومنه قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ...﴾ (4)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ (5).

ويمكن إضافة أسلوب آخر تكون فيه المشاكلة اللفظية مبنية على لفظ مقدر مثل:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً...﴾ (6).

2) مشاكلة التجنيس: أو الاشتقاق: عبارة عن استخدام لفظين يجمعها أصل واحد في اللغة للدلالة على معنيين وقد تناوله أبو الحسن الروماني تحت مصطلح المناسبة التي هي من التجانس (7).

وقد أشار السيوطي في الإتيان إلى فائدة هذا اللون من التناسب اللفظي التي تمكن

(1) ينظر: أحمد، أبو زيد. التناسب البياني. ص 257.

(2) الزمخشري، الكشاف. ص 473.

(3) سورة الشورى الآية 37.

(4) سورة الحج الآية 58.

(5) سورة النحل الآية 126.

(6) سورة البقرة الآية 137.

(7) ينظر: أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن. ص 261.

من الميل والإصغاء إلى اللفظ.

«فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على المعنى، ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس شوق إليه» (1).

وهذا لا يعني أن هذا اللون من المشاكلة اللفظية محسن لفظي زائد، فالقرآن الكريم جمع فيها بين الوفاء بحق اللفظ والمعنى وهذا ما جعله ينفرد بهذه الميزة.

وإذا تأملنا سور القرآن وجدنا أن فيه أمثلة عديدة، لهذا اللون من المشاكلة اللفظية، ويأتي على أضرب مختلفة:

قد يكون من اسم وفعل مثل قوله تعالى: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ» (2).

وقوله تعالى: «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ» (3).

وقوله تعالى: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا» (4)، هذا الضرب نجده في سور كثيرة من القرآن فنجده في سورة الأنعام الآية 128 والآية 79-88، والأنفال الآية 7-8، التوبة الآية 29-120، يونس الآية 63، يوسف الآية 19، النحل الآية 30، الإسراء الآية 18، الحج الآية 67، النور الآية 37، النمل الآية 44، العنكبوت الآية 20، الروم الآية 10-39-43، الزمر الآية 33، ق الآية 17، الحديد الآية 14، التغابن الآية 09، المدثر الآية 08، النازعات الآية 06، الواقعة الآية 01، الأعلى الآية 08.

نلاحظ من خلال هذه الآيات أن نسبة ورود هذا النوع من المشاكلة اللفظية كثيرة، والمتتبع لهذه الأمثلة يلاحظ أنها على نمطين:

- إما أن تبدأ الآية باسم ثم فعل وهو قليل، وإما أن تبدأ بفعل ثم يليه الاسم وهو الأكثر

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن. ج 2. 261.

(2) سورة البقرة الآية 272.

(3) سورة آل عمران الآية 37.

(4) سورة المائدة الآية 27.

وروداً في الآيات (1).

- وقد تقع المشاكلة اللفظية بين فعلين: قال الله تعالى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلِيسُونَ﴾ (2)، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ (3)، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (4).

- وقد تقع المشاكلة اللفظية بين اسمين يجمعهما أصل لغوي واحد ومنه قوله تعالى: ﴿... لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ...﴾ (5)، وقوله تعالى: ﴿... وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ ...﴾ (6).

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ...﴾ (7).

وقوله: ﴿... أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ...﴾ (8).

II. تناسب المجاورة:

علماء اللغة ذكروا أن العرب يحملون اللفظ على ما يجاوره، وهذا يدفعهم إلى تغيير كثير من كلامهم عن قوانينه النحوية أو الصرفية ولذلك لاتباع المجاورة. قال ابن فارس: «للعرب الاتباع، وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورويها إشباعاً وتأكيذاً» (9).

(1) ينظر: أحمد، أبو زيد التناسب البياني في القرآن. ص 265.

(2) سورة الأنعام الآية 09.

(3) سورة الطور الآية 33.

(4) سورة الصف الآية 05.

(5) سورة البقرة الآية 231.

(6) سورة آل عمران الآية 14.

(7) سورة آل عمران الآية 26.

(8) سورة يونس الآية 35.

(9) السيوطي، المزهر في علوم اللغة. ص 414.

تناسب المجاورة له عدة صور منها:

1) تغيير صيغة اللفظ للمجاورة والتناسب مثل:

أ/ تغيير بنية المصدر للمجاورة: قال تعالى: «فَالْمُؤَلَّفَاتِ ذِكْرًا، عُدْرًا أَوْ نُذْرًا» (1)، وقال تعالى: «... وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ...» (2).

والأصل إقامة الصلاة فحذفت (تاء) المصدر (إقامة) حتى تكون هناك موازنة بين قوله تعالى: «وَأَقَامَ الصَّلَاةَ»، وقوله: «وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ».

وقوله تعالى: «... وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» (3).

فمصدر الفعل تبتل (تبتلاً) فوق عدول عن الأصل لسبب لفظي ومعنوي - فاللفظي يتمثل في مراعاة تناسب رؤوس الآيات المتجاورة قبلها: «... وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» (4)، وما بعدها: «... وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا» (5).

ب/ تغيير بنية الفعل للمجاورة: قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» (6). قرأ الجمهور «يُبدئُ مضارع أبدأ، والزيير وعيسى وأبو عمرو، بخلاف عنه، يبدأ مضارع بدأ» (7).

قل ابن الحاجب: «قد يكون الشيء غير فصيح فيلحقه أمر فيجعله فصيحاً، كقوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ»، إن الفصيح بدأ يبدأ، بل لا يكاد يسمع أبدأ الرباعي، ففصح (يُبدئُ) بما حسنه من التناسب مع قوه يعيده» (8).

ج/ تغيير بنية الصفة للمجاورة: قال تعالى: «... فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ»

(1) سورة المرسلات الآية 05-06.

(2) سورة الأنبياء الآية 72.

(3) سورة المزمل الآية 07.

(4) سورة المزمل الآية 03-04.

(5) سورة المزمل الآية 19.

(6) سورة العنكبوت الآية 18.

(7) أبو حيان، الأندلسي. تفسير البحر المحيط. ج 5. ط 2. 1983. دار العلم. [د.م]. ص 329.

(8) الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ج 1، ص 66.

هَيْنِيئًا مَرِيئًا»⁽¹⁾، (هنوء الطعام ومروء إذا كان سائغاً لا تتغيص فيه)، والأصل في الفعل الثلاثي أن يكون رباعياً، يقال: «هِنَأْنِي الطعام ومَرَأْنِي»، واستعمل هنا ثلاثي في هذه الآية على الاتباع⁽²⁾.

(2) الحذف والزيادة للمجاورة:

الحذف: قال تعالى: «غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ...»⁽³⁾.

الرَّجَاح يرى أن غافر وقابل (صفتان) بينما شديد (بدل) بينما الزمخشري يرى أنها كلها أبدال، غير صفات⁽⁴⁾. وأبو حيان الغرناطي في نقله عن بعض النحاة: «هي صفات وحذفت الألف واللام من شديد العقاب، ليزوج ما قبله وما بعده لفظاً»⁽⁵⁾.
الزيادة: قال تعالى: «... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ...»⁽⁶⁾. اللام التي في (لسلطهم) جواب (لو) واللام التي في (لقاتلوكم) جاءت محاذاة لتلك اللام الأولى، والمعنى (لسلطهم عليكم فقاتلوكم) نفس المثال نجده في الآية 21 من سورة النمل.

(3) مراعاة المجاورة في اختيار القراءة:

كاختيار بعض القراء صرف ما لا ينصرف من ألفاظ القرآن، مراعاة للمجاورة والاتباع، فقرأ نافع وأبو بكر والكسائي سلاسلا بالتثوين.
 والعلماء يرون أنه، لو كان خطأ لما أدخله العرب في أشعارهم أنه لما كان بجواره جمع ينصرف اتبع الأول الثاني، وإن لم تكن رأس آية فهي تشاكل رؤوس الآي لأن بعدها أغللاً وسعيراً، كذلك قواريراً قواريراً نافع وأبو بكر بالتثوين كلاهما⁽⁷⁾.

(1) سورة النساء الآية 04.

(2) أبو حيان، الأندلسي. تفسير البحر المحيط. ج 3. ص 152.

(3) سورة غافر الآية 02.

(4) الزمخشري، الكشاف. ط 3. 413.

(5) أبو حيان، الأندلسي. تفسير البحر المحيط. ج 7. 447-448.

(6) سورة النساء الآية 90.

(7) أبو زرعة، عبد الرحمان زنجلة. حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط 4. 1984. مؤسسة الرسالة. [د.م]. ص

مخالفة أصل القراءة للمجاورة:

خالف بعض أئمة القراء أصله، في قراءة بعض الألفاظ من القرآن حفاظاً على حسن الجوار، ومثال على ذلك قرا ابن عمرو وجمهور القراء لفظ (ذُكِرَ) بالثقل لأن رؤوس الآيات مثقلة نحو عذر، نذر، في حين قرأه ابن كثير بالإسكان، وهما لغتان مثل: الرُّعْبُ، والرُّعْبُ كما قال ابن زنجلة (1).

اختيار إحدى اللغتين لحسن الجوار والتوافق:

مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِّرَ (33) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (34)﴾ (2).

قرأ نافع وحمزة وحفص (أدبَر) على أفعل، وقرأ باقي السبعة (إذا دبَر) على وزن فَعَلَ وهما لغتان (3).

III. الاتباع:

التقابل والاتباع في الأوزان: في القرآن عدد من الألفاظ المتضادة أو المتقابلة في المعنى، مبنية على وزن واحد لتجاورها فيها مراعاة للتوازن الصرفي والعروضي معاً أو اقتصر فيها على التوازن العروضي (4)، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (10) مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (11)﴾ (5).

مثل قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (08) مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (09)﴾ (6).

وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (7).

وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ (43) مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (44)﴾ (8).

فلاحظ أن بين اليمين والشمال توازن عروضي، كذلك بين كلمتي (ضراً ونفعاً) في

(1) أبو زرعة، عبد الرحمان زنجلة. حجة القراءات. ص 688.

(2) سورة المدثر الآية 33-34.

(3) أبو زرعة، عبد الرحمان زنجلة. حجة القراءات. ص 733-734.

(4) ينظر: أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن. ص 283.

(5) سورة الواقعة الآية 10-11.

(6) سورة الواقعة الآية 08-09.

(7) سورة الواقعة الآية 29.

(8) سورة الواقعة الآية 43-44.

سورة يونس الآية 49، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ...﴾ (1).

الاتباع اللفظي والتوافق في الأوزان: ربط القرآن الكريم بين كثير من الألفاظ ذات المعاني المتوافقة، ويأتي بها على وزن واحد، خاصة في مقام الوصف لتأكيد حقيقة من الحقائق أو تقوية معنى من المعاني، ويرافق ذلك تكرار نغمي وإيقاعي يناسب ذلك الغرض (وقد ورد ذلك في الأخلاق الذميمة والحميدة) (2).

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (3).

قال تعالى: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ...﴾ (4).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ (11)﴾ (5).

وقال تعالى: ﴿... عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ...﴾ (6).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ...﴾ (7).

الاتباع وتوافق الوزن في صفات الله: تتابع كلمتين متوازنتين هو في حقيقته تتابع لنغمة صوتية واحدة، فنتكرر لتقوية أثرها الصوتي في السمع وتقوية معنى الكلام في النفس (8). عند استقراءنا لأواخر الآيات في السور وجدنا أن أكثرها يختم بذكر صفتين من صفات الله تعالى، وهاتان الصفتان المتتابعتان المتجاورتان، قد تأتيتان لتأكيد معنى الآية، أو تعليل ما ورد فيها، وقد تكونان متوازنتين صرفياً وعروضياً، وقد تأتيتان متوازنتين عروضياً فقط. ولاحظنا أن كل صفات الله تعالى الواردة جاءت على أوزان صيغة المبالغة، وهاتان الصفتان المقترنتان المتتابعتان المتجاورتان في خواتم الآيات:

1) إما أنها وردت على وزن (فعليل - فعيل) أو (فعلول - فعول) وهذان الوزنان فقط من

(1) سورة آل عمران الآية 134.

(2) ينظر: أحمد، أبو زيد التناسب البياني. ص 283.

(3) سورة الهمزة الآية 01.

(4) سورة المائدة الآية 44.

(5) سورة القلم الآية 10-11.

(6) سورة التحريم الآية 06.

(7) سورة القصص الآية 26.

(8) ينظر: أحمد، أبو زيد التناسب البياني. ص 285.

تكرر في القرآن الكريم، في خواتم الآيات.

(2) وإما أنها وردت على وزن مثل (فاعل - فعيل) (فَعَال - فعول) أو (فَعَال - فعيل)

وهذان الوزنان قد يتفقان عروضياً وصرفياً أو عروضياً فقط مثل: (فعول - فعيل).

والنسبة الكبرى من الصفات التي وقعت متجاوزة في خواتم الآيات هي الصفات التي جاءت على وزن (فعيل) مكرراً وحده في نسبة كبيرة من الآيات وأتى مقترباً بأوزان أخرى أغلبها (فعول)، قد يتأخر عنه في الغالب وقد يتقدم.

مثل: (العليم الحكيم)، (العزیز الحكيم)، (السميع العليم)، (الغني الرحيم)، (العزیز الحميد)، (العلي العظيم)، (غني كريم)، (قوي عزيز)، (حكيم حميد)، (علي حكيم)، (سميع قريب)، (سميعاً بصيراً)، (علماً خبيراً)، (علياً كبيراً).

ويأتي بعد وزن (فعيل) في المرتبة الثانية من حيث الكثرة، (فعول فعيل) وزنان متوازنان عروضياً مثل (الغفور الرحيم)، (الغفور الحليم)، (الرؤوف الرحيم).

تكرر كل زوج من هذه الصفات في عدد كبير من الآيات، أما الأوزان الأخرى التي اختلفت صرفياً وعروضياً فلا تعد من المجاورة والاتباع اللفظي⁽¹⁾.

إذا المجاورة والاتباع اللفظي من أوجه وصور التناسب اللفظي، وهي الخروج عن الأصل في اللغة مراعاة للتناسب ويعد ذلك من علامات الفصاحة في الشعر ولا غرابة أن نجد ذلك في القرآن الكريم لأنه كلام الله المعجز ويمثل قمة الفصاحة.

مثل تغيير بنية اللفظ مصدراً كان أو فعلاً مراعاة للتناسب والمجاورة، كما لاحظنا ذلك في اختيار القراء للقراءات التي يراعون فيها المجاورة.

وهذا النوع من التناسب فيه حلاوة وعذوبة بالإضافة إلى أن له وقعاً في النفس.

(1) ينظر: أحمد، أبو زيد التناسب البياني. ص 285.

الفصل الثالث: نماذج من التناسب الخارجي

❖ المبحث الأول: التناسب بين أول السورة وخاتمة ما قبلها

❖ المبحث الثاني: التناسب بين السور في المطلع

❖ المبحث الثالث: التناسب بين السور في الخواتيم

❖ المبحث الرابع: التناسب بين الآيات في السور المختلفة

❖ المبحث الخامس: التناسب الصوتي بين السور

مدخل:

علم التناسب للسور علم جليل ذو خطر
قد قل فيه الكاتبون كما قد عز المستطر

هي أبيات نظمها محمد الصديق عبد الله الغماري، أشار فيها لقيمة المناسبة بين السور التي قل اشتغال المفسرين والدارسين قديماً لها، ونُدِرَ وقوعهم على مبانيتها، قال ابن الزبير الثقفي: «... وأما تعلق السور على ما ترتب في الأمام واتفق عليه الصحابة الأعلام، فمما لم يُتعرض له فيما أعلم، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخر أو تقدم» (1).

والصحيح عند عامة السلف أن ترتيب السور توقيفي، بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل عليه السلام وتلقاه عنه الصحابة، قال عبد الله بن وهب: «سمعت مالكا يقول: إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال البغوي في شرح السنة: الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

قال أبو بكر بن الأنباري في كتاب "الرد على من خالف مصحف عثمان"، بأن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم فرقه على النبي صلى الله عليه وسلم في بضع وعشرين سنة، وكانت السور تنزل لأمر حدث، والآية تنزل جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية (2).

ومن العلماء من لم يخف تحفظه إزاء المناسبة بين السور، ولم يتردد من إظهار تخوفه من ركوب بعضهم متن التكلف والإغراب...، والحق أن الذي ينبغي التنقيب عنه والاستيثاق

(1) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن. تحقيق: د. سعيد بن جمعة الفلاح. ط 1. 1428هـ. دار الجوزي. ص 69.

(2) أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني. جواهر البيان في تناسب سور القرآن. ص 06-07.

من نتائجه هو بالمقام الأول (وجه المناسبة بين الآيات) ...، أما التماس الترابط بين السور على ما فيه من تعسف وتكلف، فهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، إلا أن ترتيب السور التوقيفي لا يستلزم حتماً أن يكون بين كل سورة سابقة وكل سورة لاحقة أو أصل تقريبي ...

وفي موضع آخر «وما نظن أن احتفاء المفسرين قبيلاً بهذا النوع لدقته وحسب، بل لقلّة جدواه وكثرة التكلف فيه» (1).

يرى الغرناطي أنه: «مهما تكن مواقف العلماء من المناسبة بين الآي والسور، ومهما يتسم به توجيههم للمناسبة من طبع أو تكلف، فإن ما قاموا به قد أثمر فوائد جمّة» (2).

«ومناسبة السور بعضها لبعض، أول من أفرد هذا النوع بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير الأندلسي، الشيخ العلامة أبي حيان ألف كتاباً سماه: "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، ثم كتب الحافظ السيوطي كتابه: "تناسق الدرر في تناسب السور، وكتابي هذا ثالث كتاب في هذا العلم الشريف» (3).

ومن أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة، لأنها سيقّت لنفي الريب عن هذا الكتاب، ولأنه هدى للمتقين، ولوصف المتقين وما يجازون به بما في الآيات الثلاث، ولوصف الكافرين الذين لا يؤمنون ... ليعلم أن ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم وما اتصف به عداهم هو طريق الهالكين، وفي الوصف بالتقوى بعد ذكر المغضوب عليهم والضالين، إشارة إلى أن المقام مقام الخوف، وإن شئت قلت مقصود هذه السورة وصف الكتاب فقط، وما عدا ذلك فتوابع ولوازم ولن يثبت أنه هدى إلا بإثبات أنه حقٌّ معنًى ونظماً (4).

(1) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن. ص 70.

(2) الغرناطي، المرجع نفسه. ص 70.

(3) أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني. جواهر البيان في تناسب سور القرآن. ص 16.

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج 1. ص 77-78.

المبحث الأول: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:

مثل التناسب بين فاتحة البقرة بخاتمة سورة الفاتحة:

خاتمة سورة الفاتحة طلب طريق الهداية، قال تعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"، وفاتحة سورة البقرة يبين ذلك الطرق المطلوب، القويم، حيث قال تعالى: "الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"، فيظهر الربط بينهما لأن سورة الفاتحة ختمت بالدعاء للمؤمنين بأن لا يهديهم الله ولا يسلكهم طريق المغضوب عليهم ولا الضالين (1).

وإذا تمعنا في بداية سورة البقرة نجدها تبين لنا صفات هذه الأصناف من المؤمنين والكافرين والمنافقين.

يقول الغرناطي في البرهان: «لَمَّا قَالَ الْعَبْدُ بِتَوْفِيقِ رَبِّهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾» (2)، قيل له: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» (3)، وهو مطلوبك وفيه أَرْبُكَ وهو الصراط المستقيم، (هدي للمتقين)، القائلين: «اهدنا الصراط»، والخائفين من حال الفريقين المغضوب عليهم والضالين، فاتخذوا وقاية من العذاب خوف ربهم وتقواه، بامتثال أمره ونهيه (4).

فقيل في وصف المتقين: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» (5).

ثم بين لهم قدر النعمة عليهم، في طلب الهدى من الله في قولهم "اهدنا"، فقيل: "إن الذين كفروا" (6).

(1) ينظر: الرزكشي، البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 38.

(2) سورة الفاتحة الآية 06.

(3) سورة البقرة الآية 02.

(4) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن. ص 84.

(5) سورة البقرة الآية 02.

(6) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن. ص 85.

ليعلموا أن الهدى من عند الله، فيلحوا في الطلب وليتبرؤوا من ادعاء حول أو قوة، ثم نبهوا على الإخلاص، وأن يكون قولهم: "اهدنا"، صادراً عن يقين وإخلاص، حتى لا يشبهوا من يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالِيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (1).

ثم تحدث الله سبحانه وتعالى في ثلاثة عشر آية (في الآية 07 إلى 19)، عن أحوال الذين يدعون الإيمان حتى يوضح للمؤمنين من خلال مفهوم المخالفة طريق الهدى الواضح، إذ حذروا من (شكوك) هؤلاء وحيرتهم فقالوا: اهدنا؛ عن يقين وإخلاص.

بعدها ذكر الله سبحانه وتعالى بعض الدلائل التي يمكن للإنسان مشاهدتها: كالأرض والسماء والمطر والنبات، بعد ذلك ذكر الله تعالى ابتداء الخلق: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (2). قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (3).

التناسب بين أوائل سورة الأعراف وخواتيم سورة الأنعام:

ختم الله سورة الأنعام باتباع كتابه والتزامه إلى أن قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (4).

ثم قال في بداية سورة الأعراف: ﴿المص، كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (5).

يقول البقاعي: «أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب، وما تقدمه، فقال مخبراً عن مبتدئ تقديره هو: "كتاب"، أي عظيم أوضح الطريق المستقيم، فلم يدع بها لبساً، ولم يذر خيراً إلا أمر به، ولا شراً إلا نهى عنه، فلنر أنه من عظيم رحمته،

(1) سورة البقرة الآية 08.

(2) سورة البقرة الآية 29.

(3) سورة الفاتحة الآية 04.

(4) سورة الأنعام الآية 165.

(5) سورة الأعراف الآية 01.

ثم وصفه بما أكد وما أشار إليه من رحمته، بقوله: "أنزل إليك"؛ وأنت أكرم الناس نفساً وأوسعهم صدرًا وأجملهم قلباً...، وهذا شيء قد خصّك به فرفعك على جميع الخلق» (1).

كما قال مصطفى مشهور (2): «إن الله سبحانه وتعالى لا ينزل ابتلاءه على عباده وما يترتب عليه من عقاب حتى يوضح لهم التكاليف الشرعية، ويبرهن عليها»، ففي نفس السورة قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (3).

أعاد الله سبحانه في مطلع سورة الأعراف التأكيد والتدليل على ما اختتمت به الأنعام من الامتثال والثبات على التكاليف الشرعية، والتي مصدرها كتاب الله، لذلك بدأ الله سبحانه وتعالى سورة الأعراف بالحديث عن كتابه ووجوب التزامه (4).

وقال الكواشي في تفسير المائدة: «لَمَّا خَتَمَ سُورَةَ النِّسَاءِ أَمْرًا بِالتَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (5)».

إذا اعتبرت افتتاح (6)، كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، كافتتاح سورة الأنعام بـ "الحمد".

فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (7).

وكافتتاح سورة فاطر بالحمد أيضاً، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ (8).

(1) ينظر: عمر، حسن جودة. المناسبة في القرآن. شبكة الألوكة. ص 52-53. من موقع: www.alokah.net.

(2) عمر، حسن جودة. المرجع نفسه، ص 54.

(3) سورة الأنعام الآية 156.

(4) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن. ج 5. ص 1856.

(5) سورة المائدة الآية 01.

(6) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن. ج 5. ص 1856.

(7) سورة الزمر الآية 72.

(8) سورة سبأ الآية 54.

كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (1).

وقال بعض العلماء: افتتاح سورة الحديد بالتنسيح، مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به (2).

وكافتتاح سورة البقرة بقوله: ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ (3)، فإنه إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (4) كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب (5).

تناسب السور الأربع الطوال:

سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، تتناسب في أمرين نزولها بالمدينة، واشتمالها على أحكام تشريعية، ففي البقرة بيان القبلة وإتمام الحج والعمرة والخلع، وعدة المطلقات والمتوفي أزواجهن والدين والزهد وغير ذلك، وفي آل عمران إيجاب الحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، وبيان فضل الشهداء، وفي النساء إيجاب الصداق وإباحة الزواج بأربع نسوة. وبيان المحرمات في النكاح والمواريث، والوصاية على أموال اليتامى وأحكام القتل الخطأ وغير ذلك، وفي المائدة إيجاب الوضوء.

وبيان ما يحرم أكله وطعام أهل الكتاب، وحرم صيد البر على المحرم وإباحة صيد البحر مطلقاً وغير ذلك (6).

(1) سورة الأنعام الآية 45.

(2) أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني. جواهر البيان. ص 114.

(3) سورة البقرة الآية 01.

(4) سورة الفاتحة الآية 06.

(5) عادل، بن محمد بن أبي العلاء ص 134.

(6) أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني. جواهر البيان، ص 22.

تناسب سورة فاتحة النساء بخاتمة سورة آل عمران:

ختمت آل عمران بالأمر بالتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (1)، وهو خطاب للمؤمنين فناسب أن يوجه الخطاب في مفتتح سورة النساء لجميع الناس: "يا أيها الناس اتقوا ربكم"، وزيد هنا وصف: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (2).

ليتناسب مع قوله في أواخر السورة السابقة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (3)، فكأنه يقول أثبتكم على أعمالكم الصالحة جميعاً ذكوراً وإناثاً، لأنكم جميعاً مأمورون بالتقوى، وترجعون في أصل نشأتكم إلى آدم وحواء.

التناسب بين فاتحة سورة الأعراف وخاتمة سورة الأنعام: (4)

نوه الله عن القرآن في آخر السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (5)، تشير الآية إلى توعده المكذبين والمعرضين عنها قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (6).

فافتتح هذه السورة بنهي نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون في صدره ضيق منه بسبب تكذيب قومه به، وصدوفهم عنهم، قال تعالى: ﴿المص كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ (7).

(1) سورة آل عمران الآية 200.

(2) سورة النساء الآية 01.

(3) سورة آل عمران الآية 195.

(4) أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني. جواهر البيان. ص 31.

(5) سورة الأنعام الآية 156.

(6) سورة الأنعام الآية 158.

(7) سورة الأعراف الآية 01.

بل استمر في تبليغه (لتنذر به) المكذبين الصادقين أي المعرضين (وذكرى للمؤمنين به)، قل لهم جميعاً: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وهذا كقوله في الآية السابقة: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (1).

التناسب بين سورة التوبة والأنفال:

موضوعها الحظ على قتال الكفار، وترك مهادنتهم، وحكم المغانم وما إلى ذلك، وقد تقدم عن عثمان رضي الله عنه أنه ظن التوبة مع الأنفال سورة واحدة، لأن قصتهما واحدة ناهيك بمناسبة حملت على الاعتقاد باتحاد السورتين (2).

التناسب بين سورة هود وسورة يونس:

مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى ختم سورة يونس بأمر الناس جميعاً باتباع القرآن: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ (3)، وهذه الصيغة تفيد وجوب الهداية بالقرآن واتباعه، بطريق الكناية، لأنه إذا كان نفع هداية الإنسان عائداً لنفسه، وضرر ضلاله يعود عليها. فذكر في مفتاح هذه السورة بيان حقية القرآن (كتاب أحكمت آياته)، بعجيب النظم وبديع المعاني (ثم فصلت)، بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (من لدن) أي من عند حكيم خبير ثم عاد إلى الاستدلال على حقيقته، ليتأكد وجوب اتباعه، والاهتداء به، فتحدى العرب أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات إن كان مفترى كما يزعمون (4).

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَنَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (5).

(1) سورة الأنعام الآية 156

(2) أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري. جواهر البيان. ص 33.

(3) سورة يونس الآية 108.

(4) ينظر: أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني. جواهر البيان. ص 36.

(5) سورة هود الآية 13.

مناسبة بين خاتمة سورة هود وفاتحة سورة يوسف: (1)

قال الصاوي: «مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الأنبياء فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء، وهذه من محاسن قصص الأنبياء، وأيضاً ليتسلى النبي صلى الله عليه وسلم بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد، عما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد، قلت: ولهذا قال في ختام سورة هود: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾».

وقال في فاتحة سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (2).

المناسبة بين خاتمة سورة الرعد وفاتحة سورة إبراهيم:

ختم سورة الرعد بقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (3).

وبدأ سورة إبراهيم بقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (4).

(1) ينظر: أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني. جواهر البيان. ص 37.

(2) سورة يوسف الآية 03.

(3) سورة الرعد الآية 44.

(4) سورة إبراهيم الآية 01.

المبحث الثاني: التناسب بين السور في المطلع:

نزل القرآن الكريم على أمة تعطي الكلمة وزنها، وتقدر الإبداع فيها، وتتأثر بها، ومن أوجه التأثير التي تعنى بها الدارسون "براعة الاستهلال التي تعد باب قبول أو نفور لدى السامع أو القارئ، ولا شك أن القرآن معجز في هذا الجانب، باستقرائنا لفواتح سور القرآن المائة وأربعة عشر سورة، اتضح لنا أن فواتحها إما كلمات لغوية ذات معنى واضح أو حروف مقطعة مركبة لا تتألف لتشكيل كلمة لغوية، لكنها ذات إعجاز تجلى بعضه فيما سبق شرحه، وخفي جله فيما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وقد تنوعت الفواتح واشتملت عشرة أقسام (أنواع) تناسبت فيها مجموعة سور حسب كل قسم، وقد ذكر هاته الأنواع الزركشي في كتابه البرهان والسيوطي في كتابه الإتقان (1).
القسم الأول: يحوي سوراً افتتحت بالثناء على الله عز وجل سواء بالتحميد في خمس سور:
قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (2).

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ (01) ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (02) (3).

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (4).

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (5).

(1) ينظر: بدر الدين، الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ص 117-128/ وجلال الدين، السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ص 448-449.

(2) سورة الفاتحة الآية 01.

(3) سورة الأنعام الآية 01-02.

(4) سورة الكهف الآية 01.

(5) سورة سبأ الآية 01.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ...﴾ (1).

كما افتتح سورتين بقوله (تبارك) في:

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (2).

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (3).

إذ نلاحظ هنا أن الثناء بالمدح توافق في فواتح سبع سور بلفظين غالبين في مفردات اللغة في هذا المقصد، فالحمد والمباركة لفظان يرتبطان بالله عز وجل دون غيره.

وقد يكون الثناء بإثبات تنزيه الله عن صفات النقص، هذا في مجموعة سور تلاعت مطالعها في لفظ التسييح وهي سبع سور:

1. قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ...﴾ (4).

2. قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (5).

3. قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (6).

4. قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (7).

5. قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ﴾ (8).

(1) سورة فاطر الآية 01.

(2) سورة الفرقان الآية 01.

(3) سورة الملك الآية 01.

(4) سورة الإسراء الآية 01.

(5) سورة الحديد الآية 01.

(6) سورة الحشر الآية 01.

(7) سورة الصف الآية 01.

(8) سورة الجمعة الآية 01.

6. قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1).

7. قال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ (2).

وفواتح هذه السور تشابهت إلى درجة التطابق في مطالع الحشر والصف، واستعمل فيها اللفظ الأول على عدة سور: اسم، فعل ماضي، مضارع، أمر، وتكرار الحمد والتسبيح في فواتح السور دون عد تكرارها الكثير في متون الآيات ككل لدليل قاطع على قيمة هذه الألفاظ التي وإن خفت على اللسان إلا انها ثقلت في ميزان الله عز وجل.

القسم الثاني: افتتاح بحروف النداء أحصيناها في عشر سور:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ...﴾ (3).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ...﴾ (4).

قال تعالى أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (5).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ...﴾ (6).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ (7).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ...﴾ (8).

(1) سورة التغابن الآية 01.

(2) سورة الأعلى الآية 01.

(3) سورة النساء الآية 01.

(4) سورة المائدة الآية 01.

(5) سورة الحج الآية 01.

(6) سورة الأحزاب الآية 01.

(7) سورة الحجرات الآية 01.

(8) سورة الممتحنة الآية 01.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ...﴾ (1).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ...﴾ (2).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾ (3).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (4).

ونلاحظ هنا أن النداء قسم إلى قسمين، واحد موجه إلى النبي وهذا في سورة الأحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر، وقسم وجه للأمة، وذلك في سورة النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة، وتناسبت السور العشرة واتفقت في كونها نداء من الأعلى إلى الأسفل، أي من الله عز وجل إلى عباده، على خلاف بعض الآيات في مضامين السور التي يكون المنادي والمنادى بشراً أو ملائكة أو غير ذلك، كما اتفقت في أداة النداء، إذ يستوجب إضافة أي أو آية عند المنادي المعروف، وهذا ما اتحد في السور العشر.

القسم الثالث: افتتح بالحروف المقطعة المتشابهة:

وهي ست سور مفتوحة بـ (الم): البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، والسجدة.

وخمس سور مفتوحة بـ (الر): يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.

وسورتان مفتحتان بـ (طسم): وهي الشعراء والقصص، وفُصل بينهما (طس) سورة

النمل.

وسبع سور تبدأ بـ (حم): وهي غافر، الشورى، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية

والأحقاف.

وهناك روابط وثيقة بين السور المفتوحة بالحروف المقطعة سواء كانت من نفس

المطلع أو من مطلع مخالف، ومثال ذلك قول السيوطي في تناسب مطالع ذوات (حم)

(1) سورة الطلاق الآية 01.

(2) سورة التحريم الآية 01.

(3) سورة المزمل الآية 01.

(4) سورة المدثر الآية 01.

بمطالع ذوات (الر)، قال: «أنظر إلى مناسبة ترتيب الحواميم، فإن مطلع غافر مناسب لمطلع الزمر، ومطلع فصلت التي هي ثانية الحواميم مناسب لمطلع هود التي هي ثانية ذوات (الر) ومطلع الزخرف مؤاخ لمطلع الدخان، وكذلك مطلع الجاثية لمطلع الأحقاف»⁽¹⁾.

وأمثلة هذا التناسب متفرقة بين ثنايا دراستنا حسب طريقنا الذي جاهدنا قدر استطاعتنا أن يكون مسلكه لغوياً وإن كان التناسب المعنوي في السور المفتحة بالحروف المقطعة، قد صال وجال في دروب التفصيل والإجمال واشتراك المضامين وتناسق السياقات: أكثر من التناسب اللفظي.

القسم الرابع: اشتركت فيه خمسة عشر سورة وبدأت بالقسم ب: الصافات والذاريات، والطور والنجم، المرسلات، النازعات، البروج وطارق، والفجر والشمس، والليل والضحى، التين، العاديات، العصر.

فكان المطلع هو مقسم به وفي نفس الوقت تسمية للسورة وهذا وجه من أوجه التناسب التي يرتبط فيها المطلع باسم السورة.

القسم الخامس: ما افتتح بالشرط وجاء في سبع سور:

قال الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ...﴾⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾⁽⁵⁾.

(1) ينظر: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور. ص 117.

(2) سورة الواقعة الآية 01.

(3) سورة المنافقون الآية 01.

(4) سورة التكوير الآية 01.

(5) سورة الانفطار الآية 01.

قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (1).

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (2).

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (3).

ونلاحظ أن الشرط في هاته المطالع توحد في الأداة إذا الظرفية، وارتبط جميعاً بجمل تحوي أفعالاً ماضية، رغم أن أدوات وأسماء الشرط متعددة، إلا أن المطالع الشرطية السبع تناسب فيما يستعمل للزمن والشرط معاً، وهي غير جازمة مستحسنة بأساليب الشرط.

القسم السادس: الاستفتاح بالأمر في ست سور:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ...﴾ (4).

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (5).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (6).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (7).

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (8).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (9).

(1) سورة الانشقاق الآية 01.

(2) سورة الزلزلة الآية 01.

(3) سورة النصر الآية 01.

(4) سورة الجن الآية 01.

(5) سورة العلق الآية 01.

(6) سورة الكافرون الآية 01.

(7) سورة الإخلاص الآية 01.

(8) سورة الفلق الآية 01.

(9) سورة الناس الآية 01.

الملفت للنظر هنا تناسب هاتاه المطالع في فعل الأمر (قل) حتى أن الفعل المخالف يشترك معهم في حرف القاف، إضافة إلى أن القراءة تستلزم القول غالباً بالنظر إلى سماته النطقية.

القسم السابع: ما استفتح بالاستفهام وهو في ست سور:

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ...﴾ (1).

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (2).

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ﴾ (3).

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (4).

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (5).

قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ (6).

وبطبيعة الحال فإن الله أعلى من أن يبحث عن إجابة، ما يجعل الاستفهام هنا غير حقيقي، فإن اختلفت أدواته إلا أنها اتفقت في أغراضها التقريرية التأكيدية.

القسم الثامن: الاستفتاح بالدعاء وجاء في ثلاث سور:

قال الله تعالى: ﴿وَبِلِّ لِلْمُطَفِّينَ﴾ (7).

(1) سورة الإنسان الآية 01.

(2) سورة النبا الآية 01.

(3) سورة الغاشية الآية 01.

(4) سورة الشرح الآية 01.

(5) سورة الفيل الآية 01.

(6) سورة الماعون الآية 01.

(7) سورة المطففين الآية 01.

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (1).

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (2).

وإن كان هنا الدعاء لا يخرج من الوعيد لكل مخالف في شرع الله، سواء ما ذكر من تطفيف وهمز ولمز، أو ما أذنب فيه أبو لهب حتى يذكر بالوعيد.

القسم التاسع: شمل ما افتتح بجمل خبرية تم عدها في مطالع ثلاث وعشرين سورة وهي:

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ...﴾ (3).

قال الله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ (4).

قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ...﴾ (5).

قال الله تعالى: ﴿اقتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (6).

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (7).

قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ...﴾ (8).

قال الله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (9).

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (10).

(1) سورة الهمزة الآية 01.

(2) سورة المسد الآية 01.

(3) سورة الأنفال الآية 01.

(4) سورة التوبة الآية 01.

(5) سورة النحل الآية 01.

(6) سورة الأنبياء الآية 01.

(7) سورة المؤمنون الآية 01.

(8) سورة النور الآية 01.

(9) سورة الزمر الآية 01.

(10) سورة محمد الآية 01.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (1).

قال الله تعالى: ﴿اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (2).

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (3).

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ...﴾ (4).

قال الله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (5).

قال الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (6).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ...﴾ (7).

قال تعالى: ﴿لَا أُفْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (8).

قال الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (9).

قال تعالى: ﴿لَا أُفْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (10).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (11).

قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ (12).

(1) سورة الفتح الآية 01.

(2) سورة القمر الآية 01.

(3) سورة الرحمن الآية 01.

(4) سورة المجادلة الآية 01.

(5) سورة الحاقة الآية 01-02.

(6) سورة المعارج الآية 01.

(7) سورة نوح الآية 01.

(8) سورة القيامة الآية 01.

(9) سور عبس الآية 01.

(10) سورة البلد الآية 01.

(11) سورة القدر الآية 01.

(12) سور البينة الآية 01.

قال الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (1).

قال تعالى: ﴿الْهَاجِمُ التَّكَاثُرُ﴾ (2).

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ (3).

أما القسم الأخير فهو ما بدأ بتعليل انفردت به سورة قريش في مطلعها " لإيلاف قريش"، ولم تصاحبها في المطلع سورة أخرى.

ونستنتج هنا أن المطالع مفاتيح مهمة لإبراز إعجاز القرآن في نظمه وترابطه وانسجامه، فالقرآن حلقة مترابطة لا يزال البحث في خباياه في مراحل لا ترقى لسعة مضامينه.

(1) سورة القارعة الآية 01.

(2) سورة التكاثر الآية 01.

(3) سورة الكوثر الآية 01.

المبحث الثالث: التناسب بين السور في الخواتيم:

من باب أن الاجتهاد سر النجاح ارتأينا بعد أن أعاقتنا قلة البحوث في التناسب الخارجي أن نركز النظر إلى خواتم السور ونبحث عما هو جديد مبتكر.

فعن وجوهها كتب الدراسون في ثنايا كتبهم أهم ما اختتم به الله عز وجل السور، كفانا في هذا ما ذكره السيوطي في اتقانه والزرکشي في برهانه بعد استقراء نراه وافٍ وكافٍ لمعرفة وجوه خواتم السور التي أقرّا بأنها تحوم حول المعاني والألفاظ الدالة على الوعد والوعيد والوصايا والمواظب والفرائض والتحميد والتهليل وغير ذلك (1).

ونحاول هنا ذكر ما تناسب من السور في الخواتم في ألفاظ تشترك في جانب معين اخترناه بعد استقراءنا للنهايات كلها، لكن قبل هذا لا بأس أن نستعرض أهم السور التي تناسبت في الوجوه سابقة الذكر، ونبدأ بالتي ختمت بالوعد والوعيد، مثل آخر سورة الأنعام ويونس والنحل ومريم وطه والنور، والشعراء والعنكبوت والروم والسجدة والأحزاب وفاطر، وص، وغافر، والزخرف ومحمد والفتح والذاريات، والقمر والمجادلة والمعارج والإنسان، والمرسلات والنبأ والنازعات وعبس والانفطار والمطففين والانشقاق.

ومن السور المختتمة بالتهليل والتحميد، سورة براءة والصفات، والزمر، والإخلاص. أما المختتم بالتبجيل والتعظيم، نجد خاتمة سورة المائدة وهود، والإسراء، الأنبياء، النمل، القصص، يس، الجاثية، فصلت، الحجرات، الرحمان، الواقعة، الحديد، الحشر، الجمعة، التغابن، الطلاق، التحريم، الحاقة، الجن، القيامة والتكوير ... والمختتمة بالوصايا نجد: آل عمران، التوبة، إبراهيم، الحجر، الكهف، الحج، الشورى، الدخان، الأحقاف، ق، الممتحنة، الصف، المزمل ...

المختتمة بالأدعية نجد خاتمة سورة الفاتحة، البقرة، المؤمنون ونوح ...

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ص 182.

والمختتمة بالفرائض مثل: آخر سورة النساء وسورة الأنفال.

المختتمة بالتحريض على العبادة: نجد سورة الأعراف، ولقمان، سبأ، الطور، النجم، المنافقون والمدثر.

والمختتمة بالرد على المشركين في خواتم: سورة يوسف والرعد، الفرقان، الملك، القلم. وربما وجدت وجوه أخرى تختار من وجهة نظر مخالفة لكننا اتبعنا هنا ما استقرأه جل العلماء، من أمثال السيوطي والزركشي، وقد تشترك سورة في وجهين لاشتمال آية الختام على أكثر من فكرة.

أما نحن هنا فقد نظرنا للموضوع من الزاوية اللغوية، وحاولنا الابتعاد قدر المستطاع عن جانب المعنى فلاحظنا أولاً أن سوراً عديدة اشتركت في الختام بأسماء الله الحسنى.

سورة لقمان: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (1).

واختيار كلمة عليم مناسب لما ورد في الآية من اشتقاقات لها وإضافة كلمة خبير تعطي العلم سمة أخرى أقوى وهي العلم بباطن الشيء وما خفي منه.

ونجد أيضاً سورة الأحزاب تنتهي بقوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (2). فبعد الوعد والوعد ذكر الله برحمته التي تسبق غضبه فاختر من أسمائه ما يدل على هذا وهو المغفرة أي محو الذنوب والرحمة الأقوى لأن فيها إيصال للخبر وتأخير كلمة رحيم هنا لمناسبة الفاصلة كذلك، كما ختمت سورة الأنعام والمزمل بنفس اللفظين "غفور رحيم".

(1) سورة لقمان الآية 33.

(2) سورة الأحزاب الآية 73.

وفي خاتمة سورة الحشر يقول عز وجل: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1)، ذكرت عدة أسامي هنا من أسماء الله الحسنى خُتمت بلفظي (العزیز الحكيم)، وهو تزواج كُرِّرَ في سبع وأربعين موضعاً في كتاب الله وهذا لحاجة كل لفظ لآخر للوصول إلى قمة الكمال، فالعزة هي القوة البعيدة عن الذل والحكمة تحمل العلم حسن التصرف والتدبر في الأمور، كما اشتركت معها في الخاتمة سورة التغابن والجاثية تركيب الأسماء.

كما وجدنا تناسباً بين السورتين المتتاليتين الواقعة والحديد، قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (2)، وقال في ختام سورة الحديد: ﴿لَنْ نَلَّا يَعْلمَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَفْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (3).

هنا تتناسب خواتم الآيتين باختيار لفظ واحد في خاتمتها يدل على قوته عز وجل، وما التكرار إلا تقوية وتأکید، كما تنتهي سورة الحاقة بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (4)، وهي نفس خاتمة الواقعة بالإضافة إلى سورة التوبة التي تنتهي باسم الله (العظيم).

وتختم سورة النساء بقوله عز وجل: ﴿... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (5)، نفس الخاتمة مع سورة الأنفال، قال الله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (6).

وسورة النور: ﴿... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (7).

(1) سورة الحشر الآية 24.

(2) سورة الواقعة الآية 99.

(3) سورة الحديد الآية 28.

(4) سورة الحاقة الآية 58.

(5) سورة النساء الآية 175.

(6) سورة الأنفال الآية 76.

(7) سورة النور الآية 62.

ومن السور التي تختتم بأسماء الله الحسنی سورة المائدة بلفظ (قدير)، سورة الحج بلفظ (النصير)، وفاطر بلفظ (البصير)، وسورة القمر باسم (المقتدر) والعاديات باسم (الخبير) والنصر باسم (التواب).

كما لم يختم باسم (الله) بهذا اللفظ إلا في سورة الانفطار في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (1).

وبلفظ (رب) في نهاية البينة: ﴿... ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (2).

كما لاحظنا اختتام عدة سور بلفظ من أسماء الجمع المذكر السالم، مثل تكرار لفظ العالمين في عدة خواتم وبالياء والنون فقط، وذلك في سورة الصافات والزمر، والقلم والتكوير.

قال الله تعالى: ﴿... وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (3).

وقال عز وجل: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (4).

قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (5).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (6).

إضافة إلى ألفاظ أخرى في جمع المذكر من أمثلة اختتام سورة (البقرة بلفظ الكافرين) و(السجدة بلفظ منتظرون) و(غافر ب: الكافرون)، (النحل: محسنون)، (الأحقاف: فاسقون)، (الدخان بلفظ: مرتقبون)، (المجادلة: المفلحون)، (الجمعة: الرازقين)، (الصف: ظاهرين)، (التحریم: قانتين)، (التين: الحاكمين).

(1) سورة الانفطار الآية 19.

(2) سورة البينة الآية 08.

(3) سورة الزمر الآية 72.

(4) سورة الصافات الآية 182.

(5) سورة القلم الآية 52.

(6) سورة التكوير الآية 29.

في حين ختمت سور بجمع التكسير في سورة (إبراهيم بلفظ: الأبواب) و(الشورى: الأمور)، (محمد: أمثالكم)، (الطور: النجوم)، (المتحنة: القبور)، (عبس: الفجرة)، (الناس: الناس) ...

والمثير للانتباه استعمال الأفعال في ضمائر الجمع بكثرة سواء مع الضمير هم أو أنتم نحو: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (1)، و﴿وَيَسْبِغُوهُ وَلَهُ يُسْجِدُونَ﴾ (2)، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (3)، ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (4).

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (5)، ﴿... أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (6).

﴿... وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (7)، ﴿... لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (8)، ﴿... وَلَا يَسْتَخْفَىٰكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (9)، ﴿مَلَكُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (10).

كما ختمت السور الآتية بالأفعال: (الزخرف ب: تعلمون)، (الحجرات: تعلمون)، (الذاريات: يومنون)، (المطففين: يفعلون).

كل هاته الأفعال في صيغة الجمع تخنفي في الواحد والثلاثين سورة الأخيرة، إذ يصبح الخطاب آخر كل سورة بالمفرد يتخلله الأمر في سورة العلق والشرح والضحى: قال تعالى:

(1) سورة آل عمران الآية 200.

(2) سورة الأعراف الآية 206.

(3) سورة هود الآية 121.

(4) سورة يوسف الآية 111.

(5) سورة الأنبياء الآية 111.

(6) سورة الشعراء الآية 226.

(7) سورة النمل الآية 95.

(8) سورة القصص الآية 88.

(9) سورة الروم الآية 59.

(10) سورة يس الآية 82.

﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (1)، ﴿وَالْيَ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (2)، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (3).

حتى أن التناسب في الخواتم شمل حتى الفواصل إذ تتوالى ثلاث سور بفاصلة واحدة في ختامها، وهي سورة المسد مع الإخلاص مع الفلق: (... مسد)، (... أحد)، (... حسد)؛ وهذا نموذج من جماليات الموسيقى العذبة في القرآن الكريم التي تسحر سامعها حتى وإن لم يفقه من معناها شيئاً.

(1) سورة العلق الآية 20.

(2) سورة الشرح الآية 08.

(3) سورة الضحى الآية 11.

المبحث الرابع: التناسب بين الآيات في السور المختلفة:

بما أن التناسب عميق بمجالاته ومتشعب في مواضيع بحثه-مادامت هذه المواضيع تنصب فيما تآلف وترابط وتشابه-فإننا بهذا ارتأينا البحث في الآيات المترابطة داخل السور المختلفة، وما التشابه هنا بمصادفة بل هو تناسب في ألفاظ الآيات إما كلي أو جزئي، يحمل فيه الاختلاف معاني عديدة وفي التكرار رسائل تبين عظمة الخالق، فما نحسب التكرار إلا لدلالات في التفسير والتأويل، فما التقديم والتأخير والحذف والزيادة في الدراسات اللغوية بعثت في الكلمات دون طائل، إذا علمنا أن وضع علامة وقف معينة في جمل متشابهة قد يغير من المعنى كلياً.

فالتناسب بين ألفاظ الآيات هنا تناسب شكلي فقط لكن المعنى يختلف بحسب السورة وموضوعها.

ومن الترابط اللفظي بين الآيات والسور المختلفة نجد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (1).
وفي الأعراف: ﴿... إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (2).
وفي سورة الحجر: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (3).
وفي سورة ص: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (4).

إذا توحد الاستثناء بلفظي (إلا إبليس) واختلف في باقي التركيب، وإذا كان يظهر ذا معنى واحد لكن التغير بجمل أغراضاً ودلالات معينة حسب السورة التي ورد فيها.

(1) سورة البقرة الآية 33.

(2) سورة الأعراف الآية 10.

(3) سورة الحجر الآية 31.

(4) سورة ص الآية 73.

وفي البقرة نجد قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (1).

وفي الأعراف: ﴿وَإِذْ أَنْجَبْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (2).

وفي سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (3).

وفي مثال آخر يماثله في نوع الاختلاف تقريباً:

قوله تعالى في البقرة: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (4).

وفي الأعراف: ﴿... وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ...﴾ (5).

وفي سورة طه: ﴿... وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ﴾ (6).

نلاحظ هنا استعمال صيغتي فعل مختلفتين وهي (أفعل وفعل)، في: (أنجى وتجي، وأنزل ونزل)، والصيغتان وإن كانتا لفعل ذي معنى واحد لكن صيغة فعل تحمل من الشدة والتكرار والإسراع في الفعل أكثر مما تحمله صيغة أفعل.

كما نجد مثلاً آخر في سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ

(1) سورة البقرة الآية 49.

(2) سورة الأعراف الآية 141.

(3) سورة إبراهيم الآية 08.

(4) سورة البقرة الآية 56.

(5) سورة الأعراف الآية 160.

(6) سورة طه الآية 78.

رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (1)، وفي سورة آل عمران: «قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (2).

فالفعل (قولوا) في سورة البقرة موجه للمؤمنين لذلك وجب استعمال حرف الجر (إلى)، إذ ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وصل إليهم عن طريقه، وفي سورة آل عمران الخطاب وجه للرسول صلى الله عليه وسلم (قل)، وبالتالي استعمل حرف الجر (على)، أي نزل القرآن على النبي.

واشتركت سورة آل عمران مع سورة الأنفال في قوله تعالى: «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» (3)، وفي سورة الحج قال تعالى: «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» (4).

والاختلاف هنا بين الجمع والإفراد في لفظ (يداك) و(أيديكم).

قوله تعالى في قصة صالح: «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ» (5)، وفي سورة هود: «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ» (6)، وقوله تعالى في قصة شعيب: «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ» (7)، وفي العنكبوت: «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ» (8)، وفي سورة هود: «... وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ» (9).

(1) سورة البقرة الآية 135.

(2) سورة آل عمران الآية 83.

(3) سورة آل عمران الآية 182-سورة الأنفال الآية 52.

(4) سورة الحج الآية 10.

(5) سورة الأعراف الآية 77.

(6) سورة هود الآية 66.

(7) سورة الأعراف الآية 90.

(8) سورة العنكبوت الآية 37.

(9) سورة هود الآية 94.

نلاحظ أن في سورة هود آية متكررة في قصتين لصالح وشعيب عليهما السلام، واختلفت الآيتان فقط في الفعل (أخذ) و(أخذت).

وفي التقديم والتأخير نجد قوله تعالى في القصص: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ...﴾ (1)، وفي سورة يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (2).

تقديم (رجل) يعطيه أهمية أكبر في القول وفي الثاني كانت الأهمية للمكان (أقصى).

(1) سورة القصص الآية 19.

(2) سورة يس الآية 19.

المبحث الخامس: التناسب الصوتي بين السور:

اتسم القرآن الكريم باتسامه بالانسجام الحاصل بين المعنى واللفظ بشكل قائم على نظام يأسر القلوب قبل أن يقنع العقول، وهذا لا يختلف فيه اثنان، يقول تعالى في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾⁽¹⁾، وهذا لاجتماع ظواهر فنية عديدة في الأسلوب القرآني، منها الإيقاع الموسيقي الذي يعد ظاهرة حيوية وهو كذلك ظاهرة لغوية عامة، وإذا تقرر أن الإيقاع ظاهرة لغوية عامة؛ فهو في اللغة العربية أكثر وضوحاً وأشد ظهوراً، ومصطلح الإيقاع معروف عند العرب باختصاصه بالألحان والغناء، وفي اللسان: الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها، وسمى الخليل كتاباً من كتبه في ذلك المعنى "كتاب الإيقاع"، وهو مشتق من التوقيع؛ أي الضرب المنتظم على آلة أو غيرها بنظام معروف، وذلك في جوهره قائم على التكرار، وربما تولد منه فيما بعد ذلك الإيقاع اللفظي الذي يعتد هو الآخر في جوهره على صورة لغوية⁽²⁾.

فالإيقاع في اللغة العربية متربع على عرش منحته إياه طبيعة اللغة الاشتقاقية المرنة والصرف الذي يعطيها مجالاً واسعاً لتنوع الإيقاع، فالعربية تتأثر مثلاً بالتنغيم الذي يعد ظاهرة إيقاعية تؤثر في تغير المعاني.

وفي مبحثنا هذا وجدنا أن معظم الدارسين درسوا إيقاع القرآن داخلياً؛ أي داخل السورة الواحدة ابتداءً من رؤوس الآي إلى مضامينها وما تحمله من أجراس ألفاظ اكتسبت إيقاعها من مخارج حروفها أو وزنها ... إلخ.

غير أن دراسة التناسب الصوتي بين السور كان أقل حظاً من دراسته داخل السورة الواحدة، رغم إعجاز القرآن الذي أبهر العلماء ولا يزال يقدم لنا سوره بشكل لحمة واحدة،

(1) سورة الجن الآية 01-02.

(2) سيد، الأخضر. فواصل الآيات القرآنية (دراسة بلاغية دلالية). ط 2. 1430هـ-2009م. مكتبة الآداب. القاهرة. ص

ترتبط بين سورته علاقات متعددة يربطها حبل التناسب بمختلف وجوهه، ولا بد أن الجانب الإيقاعي بين السور يحتاج إلى استنهاض همم الباحثين لتقصي أسرار الالتحام الإيقاعي بينها.

ارتأينا أن ندرس التناسب الصوتي بين السور من جانب معين قيدنا برباط المعنى، وهذا لما ذكرناه سابقا من تأثير الإيقاع في تغيير المعاني، فجرس اللفظ ينبع من اختيار نوع المفردة بحروفها الخاصة، ولكل لفظ صدى من نوع خاص.

فهاته سور تتحدث عن هول يوم القيامة تستعمل الإغراق في مد الصوت وشدته لشدة دلالاته، نحو قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ (01) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (02)﴾⁽¹⁾، إشارة إلى يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾⁽²⁾، والصاخة هي الصيحة تصخ الأذن؛ أي تطعنها فتصمها لشدتها، ومنه سميت القيامة، ويقال كان في أذنه صاخة، أي طعنة⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾⁽⁴⁾، والطامة هي الصيحة التي تطم على كل شيء⁽⁵⁾.

إن التناسب الصوتي بين الألفاظ الحاققة والصاخة والطامة وتوافقها مع دلالاتها في الشدة والوقع.

نفس الأمر لاحظناه في باقي التسميات ليوم القيامة والتي اشتركت في الصيغة بنسق متقارب مثل: الواقعة، القارعة، الأزفة، الراجفة، الرادفة، العاشية.

(1) سورة الحاققة الآية 01-02.

(2) سورة عبس الآية 33.

(3) ابن منظور، لسان العرب. ج 4. ص 02.

(4) سورة النازعات الآية 34.

(5) ابن منظور، لسان العرب. ج 15. ص 263.

إذ تناسب دلالة الأصوات مع المعنى في ألفاظ ذات وزن واحد بمد في البداية للإطالة ومنح الوقت للتفكير في هول يوم القيامة، هذا من جهة، ومن زاوية أخرى نستطيع جمع سور متناسبة في وجه آخر وهو توافق الطول والقصر في الآيات ومن أمثلة ذلك تناسب السور القصيرة الأخيرة صوتياً تحتاج إلى نفس وصبر وتدبر في سور من أمثال النساء والمائدة وهذا تناسب من نوع آخر.

إضافة إلى التناسب في الفواصل بأشكال عديدة بين السور مثل توافق أواخر المسد والإخلاص والفلق:

قال تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (1)، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (2)، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (3)، مما أعطى ترابط في نغم الترتيل وارتياح في نفس المرتل.

وانسجام أواخر الضحى والشرح والعلق، بالانتهاء بصيغة صرف واحدة وهي الأمر الذي ينتهي بسكون يجعلك تتوقف لبرهة للتدبر: (فحدّث)، (فارغب)، (واقترّب).

كما أن الارتباط الصوتي بين سور القرآن يحمل أسراراً عديدة لاحظنا منها استعمال صيغة مكررة في الأسماء بكثرة خاصة الجمع المذكر السالم والفعل المنتهي بالواو والنون (الأفعال الخمسة) أواخر الآيات والسور وحتى في أواسطها مما يعود الأذن على نغم معين.

من أمثلة ذلك السورتين المتتاليتين يس والصافات إذ تنتهي الأولى ب: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (4)، وتنتهي الثانية ب: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (5).

(1) سورة المسد الآية 05.

(2) سورة الإخلاص الآية 04.

(3) سورة الفلق الآية 05.

(4) سورة يس الآية 82.

(5) سورة الصافات الآية 184.

بل إن فواصل آياتها كلها تقريباً تنتهي بالواو والنون، وهذا يعطي تناغماً بين السورتين بشكل جلي.

والأمر يطول خاصة في البحث عن الفواصل المتشابهة بين السور خاصة المتتالية حتى لا ينقطع بينهما الإيقاع عند التلاوة مع أن اختلاف الفواصل بين السور ليس عيباً بقدر ما هو تجديد لنفس القارئ ونقل لأحاسيسه وأفكاره إلى مواضيع متعددة في العقيدة تولج إلى عالم تقودنا فيه الألفاظ على متن الإيقاع للوصول إلى المعاني المرجوة.

خاتمة

خاتمة:

الخوض في دراسة القرآن في أي مجال أمر ليس بالهين لجلالته وإعجازه، فبعد بذلنا جهد نراه متواضعاً أمام عظمة الموضوع، توصلنا إلى النتائج التالية:

- أن التناسب أهم صورة من صور إعجاز القرآن الكريم.
- احتشام الدراسات الأولى للتناسب، بحيث شغلت إشارات ثم فصول فقط بادئ الأمر، قبل استقلالها في مؤلفات خاصة نظراً لتخوفهم.
- المعنى اللغوي والاصطلاحي للتناسب متقاربان يلتقيان في مدلول الترابط والتوافق والعلاقة والاتصال.
- أن المنكر للتناسب والمعترض له لا ينفي وجوده تماماً بل يستنكر التكلف فيه.
- أهمية التناسب تتجلى في إدراك مراد الله في كتابه والابتعاد عن اللبس والاطلاع على حكم القرآن.
- أن أنواع التناسب تختلف بين الدارسين، كل يقسمها حسب وجهة نظره، وإن كان التقسيم الرئيسي بينهم واحد وهو التناسب في السورة الواحدة أو التناسب بين السور.
- الدراسة في التناسب الداخلي عميقة عند الدارسين خاصة التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها.
- قلة التطبيقات في التناسب الخارجي بين السور.
- التعمق في دراسة التناسب في القرآن يجعلك تغير طريقة قراءتك وتدبرك له بشكل يصبح أكثر لذة وأقوى إدراكاً.

هذا وفي الأخير نسأل الله عزّ وجلّ أن يُعلّمنا ما ينفعنا، وأولها استقراء القرآن، وينفعنا بما يعلمنا، ولا نفع أكثر من تدبر القرآن، وأن يرزقنا في هذا كله الإخلاص لوجهه الكريم، وصلى الله على حبيبنا المصطفى عليه أزكى الصلاة والتسليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.
1. ابن أبي الأصبع، المصري. بديع القرآن. تحقيق: حقي محمد شرف، ط 2، [د. ت]. دار النهضة، مصر.
 2. ابن جرير، الطبري. جامع البيان في تفسير القرآن. مج 10. ج 29. [د. ط]. 1398هـ/1978م. دار الفكر. بيروت.
 3. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ج 5. [د. ط]. 1399هـ-1979م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. [د. م].
 4. ابن منظور، لسان العرب. ج 4. ج 6. ج 15. [د. ط]. [د. ت]. دار المعارف. مصر.
 5. أبو الفضل، عبد الله محمد الصديق الغماري الحسيني. جواهر البيان في تناسب سور القرآن. [د. ط]. [د. ت]. مطبعة محمد عاطف وسيد طه. القاهرة.
 6. أبو جعفر، بن الزبير. البرهان في ترتيب سور القرآن. تحقيق: محمد شعباني. [د. ط]. 1410هـ/1990م. وزارة الشؤون الإسلامية. المغرب.
 7. أبو حيان، الأندلسي. البحر المحيط. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط 1. [د. ت]. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
 8. أبو حيان، الأندلسي. تفسير البحر المحيط. ج 3. ج 5. ج 7. ط 2. 1983. دار العلم. [د. م].
 9. أبو زرعة، عبد الرحمان زنجلة. حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط 4. 1984. مؤسسة الرسالة. [د. م].
 10. أحمد، بدوي. من بلاغة القرآن. ط 3. [د. ت]. مكتبة النهضة. مصر. ص 401.

11. أحمد، أبو زيد. التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي)، [د.ط.]. 1992م. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.
12. أحمد، عبد الغفار. حول القرآن. [د.ط.]. 2003. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
13. إميل، يعقوب وآخرون. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية عربي إنجليزي فرنسي. ط 1. 1987م. دار العلم للملايين. لبنان.
14. أبو جعفر بن الزبير، الغرناطي. البرهان في تناسب سور القرآن. تحقيق: د. سعيد بن جمعة الفلاح. ط 1. 1428هـ. دار الجوزي.
15. بدر الدين، الزركشي. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل. ج 1. [د.ط.]. [د.ت.]. دار المعرفة. بيروت.
16. برهان الدين، البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تصحيح وتعليق: محمد محمد عمران الأعظم الأنصاري العمري. ج 1. ط 1. 1404هـ/1984م. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة.
17. جلال الدين، السيوطي. أسرار ترتيب القرآن. تحقيق: عبد القادر عطا ومرزوق علي إبراهيم. [د.ط.]. [د.ت.]. دار الفضيحة. [د.م.].
18. جلال الدين، السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج 2. [د.ط.]. 1973. المكتبة الثقافية. بيروت.
19. جلال الدين، السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 5. [د.ط.]. [ط.ت.]. مكتبة التراث. [د.م.]. ص 1851.
20. جلال الدين، السيوطي. المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. ج 1. [د.ط.]. [د.ت.]. دار إحياء الكتب العربية. [د.م.].

21. جلال الدين، السيوطي. طبقات المفسرين. تحقيق: علي محمد عمر. ط 1. 1431هـ/2010م. دار النور. الكويت.
22. جلال الدين، السيوطي. مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع. تحقيق: محمد بازمول. ط 1. 1423هـ/2002م. المكتبة المكية. مكة المكرمة.
23. خالد، بن عثمان السبت. قواعد التفسير جمعاً ودراسة. ج 2. ط 1. 1421هـ. دار ابن عفان. مصر.
24. الراغب، الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ج 1. ط 1. 1412هـ. دار القلم. دمشق.
25. زكي، مبارك. النثر الفني في القرن الرابع. ج 1. ط 2. [د. ت]. مكتبة السعادة. مصر.
26. سيد، الأخضر. فواصل الآيات القرآنية (دراسة بلاغية دلالية). ط 2. 1430هـ-2009م. مكتبة الآداب. القاهرة.
27. سيد، قطب. التصوير الفني في القرآن الكريم. ط 9. 1980م. دار المعارف. مصر.
28. الشوكاني، فتح القدير. ج 1. [د. ط]. دار الفكر. بيروت.
29. صبحي، اليازجي. الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي وسيد قطب. (دراسة مقارنة). أطروحة ماجستير. الجامعة الإسلامية. غزة. 2001م.
30. ضياء الدين، بن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. ج 3. [د. ط]. [د. ت]. دار النهضة. مصر.
31. عادل بن محمد، أبي العلاء. مصابيح الدرر في تناسب الآيات والسور. مجلة الجامعة الإسلامية. العدد 129.

32. عادل، بن محمد بن أبي العلاء. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور. مجلة الجامعة الإسلامية. العدد 129.
33. عادل، نويهض. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. تقديم: حسن خالد. المجلد 1. ط1. 1403هـ/1983م. مؤسسة نويهض الثقافية. [د.م].
34. عبد الحميد، الفراهي. دلائل النظام. المطبعة الحميدية. 1388هـ. نسخة رقمية مصورة.
35. عبد الرحمان، السعدي. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. ط1. 2000م. مكتبة النبلاء. [د.م].
36. عبد الرحمان، حبنكة الميداني. العقيدة الإسلامية وأسسها. ط3. 1983م. دار القلم. دمشق.
37. عبد الرحمان، حبنكة الميداني. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل. ط1. 1400هـ/1980م. دار القلم. دمشق.
38. عبد المالك، مرتاض. نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان). [د.ط]. [د.ت]. دار هومة. الجزائر. بوزريعة.
39. علي، عبد العزيز سيور. مناسبات الآيات والسور (نشأة علم المناسبة: محلها ودلالاتها وأثرها على التفسير). العدد 25. ربيع الثاني 1424هـ. يونيو 2003م. كلية الدراسات الإسلامية والعربية. دبي.
40. عمر، حسن جودة. المناسبة في القرآن. شبكة الألوكة. ص 52-53. من موقع: www.alokah.net
41. فاضل، صالح السامرائي. التعبير القرآني. 1422هـ-2002م دار عمار. عمان.
42. القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ج 1. دار الكتاب. لبنان. ط 5. 1980م.

43. ماهر، خضير هاشم. المشاكلة في اللغة العربية (صوتيا و صرفيا). مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية المجلد 18. العدد 3. 2010.
44. محمد عبد الله، دراز. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن. ط 1. 1417هـ/1997م. دار طيبة. السعودية.
45. محمد، بازمول. علم المناسبات في السور والآيات. ط 1. 1423هـ/2002م. المكتبة المكية. مكة المكرمة.
46. محمد، عناية الله أسد سبحاني. إمعان النظر في نظام الآي والسور. ط 1. 1424هـ/2003م. دار عمار. عمان.
47. محمود بن عمرو، الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج 1. ط 1. [د. ت]. مكتبة العبيكان. الرياض.
48. مصطفى، شعبان عبد الحميد. المناسبة في القرآن (دراسة لغوية). ط 1. 1428هـ/2007م. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية.
49. مصطفى، صادق الرافي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. تحقيق: عبد الله المنشاوي. [د. ط]. [د. ت]. دار الفكر العربي. بيروت.
50. مصطفى، مسلم. مباحث في التفسير الموضوعي. ط 3. 1421هـ/2000م. دار القلم. دمشق.
51. مناع، قطان. مباحث في علوم القرآن. ط 35. 1419هـ/1998م. مؤسسة الرسالة. [د. م].

ملخص الدراسة:

تتناول هذه المذكرة موضوع التناسب في القرآن، وهو بحث عن أوجه الترابط والتوافق والانسجام في السور والآيات، سواء داخل السورة فقط ويسمى تناسباً داخلياً، أو بين سور مختلفة ويسمى تناسباً خارجياً، وقد ركّزنا على الجانب اللفظي في أوجه الارتباط لطبيعة دراستنا اللسانية، واخترنا أنواعاً معينة يقل فيها الاهتمام بالمعنى، وهي في التناسب الداخلي: ارتباط بداية السورة بخاتمتها لفظياً وعلاقة الحروف المقطعة أول السورة بألفاظها، وتناسب أواخر الآيات (الفواصل)، والتناسب الصوتي والإيقاعي داخل السورة، إضافة إلى تناسب المشاكلة وتناسب الاتباع وتناسب المجاورة.

كما اجتهدنا في تطبيق التناسب الخارجي بين السور، واخترنا دراسته من خلال بيان أوجه التوافق بين أول السورة وخاتمة ما قبلها، والتناسب بين السور في المطع، والتناسب بين السور في الخواتيم، إضافة إلى التناسب في الآيات بين السور المختلفة، وأخيراً التناسب الصوتي بين السور. ويبقى باب البحث في هذا الموضوع مفتوحاً يحتاج إلى اجتهاد أكثر لفك أسرار إعجاز القرآن.

الكلمات المفتاحية:

التناسب-القرآن-داخلي-خارجي.

Résumé

Le mémoire traite le thème de la proportionnalité dans le- Coran c'est une recherche concernant la corrélation, la compatibilité et l'harmonie dans les Sourates et les Versets Coraniques soit à l'intérieur d'une même Sourate que l'on appelle proportionnalité interne ou entre différentes Sourates que l'on appelle proportionnalité externe/ D'une part, nous sommes concentrés sur le côté des mots dans les aspects de la corrélation à cause de la nature de notre étude linguistique : d'autre part nous avons choisi certains types dans lesquels il y a moins d'intérêt dans le sens, ils sont en proportionnalité interne : une corrélation entre le début de la Sourate-avec sa clôture au niveau de terme et la relation des "Lettres" au début de Sourate avec ses mots, et la proportionnalité en fin des versets Coraniques (les séparateurs Coraniques) et la proportionnalité sonore et rythmique dans la même Sourate. De plus, celle qui concerne l'analogie, la subjection et celle concernant le cote proxémique.

Nous avons fait un effort pour appliquer la proportionnalité externe entre les Sourates, ainsi on a choisi de l'étudier à travers des aspects de compatibilité entre le début de la Sourate et la clôture de celle qui avant cette dernière et la proportionnalité entre les Sourates au début et la proportionnalité entre les Sourates aux clôtures, aussi de la proportionnalité entre les versets au niveau de différentes Sourates enfin, la proportionnalité sonore entre ces dernières.

La recherche concernant ce sujet reste ouverte et nécessite plus de diligence pour déchiffrer le miracle du Coran.

LES Mots Clés : La Proportionnalité- Le- Coran-interne-externe.